المـرأة في الأدب الـتركي بعد المشروطية الثانية من خلال المجموعة القصصية ÷الطلاق بالثلاثة×

للأديب/ فخري جلال الدين گوك طولغه

أ. د. م / ناصر عبد الرحيم حسين

أستاذ الأدب التركي المساعد
كلية الآداب – جامعة حلوان

تمهيد :

لقد أعقب إعلان المشـــروطية الثانية 1908م/1326هـ موجة من الحرية والتيارات الفكرية التي كان لها أبعد الأثر على المجتمع التركي. وعمل تيار التغريب على أشـــده، وانعكس ذلك على الأسرة التركية التي بدأت تأخذ بما هو وارد من الغرب. فأخذ أفراد المجتمع يتخلون عن العادات والتقاليد والقيم الشـــرقية الموروثة عن الآباء والأجداد والتي يمليها عليهم الدين والأعراف، وشـــرعوا في اتخاذ الأوربيين نموذجاً لهم في المأكل والمشـــرب والملبس والســـلوكيات وكافة مناحي الحياة ظناً منهم بأن كل ما يرد من الغرب فيه التقدم والرقي حتى تبدل وجه المجتمع وتغيرت كل أحواله.

وكان للمرأة نصـــيب كبير من هذا التيار التغريبي باعتبارها فرد من أفراد المجتمع. واعتبرت المرأة إعلان المشـــروطية الثانية إعلاناً للحرية المحرومين منها. ولكنهن أســـأن فهم الحرية. فاعتبرن أن مخالطة الرجال والالتقاء بهم وإقامة علاقات ود وصـــداقة والزيارات المتبادلة هي نوع من الحرية، وأن الزواج بعد حب بين الطرفين قائم على لقاءات بين الحبيبين خارج البيت، وليس على طريقة الخاطبة التقليدية هو أيضـاً نوع من الحرية. ونتيجة لانغماس المرأة في الحداثة وتيارات التغريب وإتباعها لكل مظاهر الحياة الأوربية وتقليدها للمرأة الأوربية فإنه أخذ وضـــع المرأة يتردى داخل الأســـرة والمجتمع مما كان له انعكاســـاته السلبية على المجتمع التركي.

وشغل وضع المرأة في تركيا بعد فترة المشروطية على وجه الخصوص بال الكثير من الكتاب والأدباء؛ فخصـها الكتاب بالأعمال التي شـرحوا فيها وضـع المرأة المتردي وضـرورة

الخروج من هذا الوضـــع بتربيتها وتعليمها وإعدادها إعداداً جيداً لتكون نواة لمجتمع صـــالح. كما انعكس وضـعها أيضـاً على صـفحات الأدب شـعره، ونثره بشـقيه القصـة والرواية. فمن الأدباء من جعل معظم مادة قصـصـه تدور حول المرأة كالأديب «فخري جلال» شـعوراً منه بأن الأدب مرآة للواقع تنعكس على صفحاته ملامح المجتمع.

وهذا التركيز الشـديد على موضـوع المرأة عند «فخري جلال» لفت الانتباه حيث خص المرأة بالعديد من القصص بل إن المجموعة القصصية التي تحمل عنوان «الطلاق بالثلاثة» والتي هي عبارة عن أربعة عشـــر قصـــة جميعها اتخذت المرأة موضـــوعاً لها. ولذلك وقع اختياري على هذه المجموعة القصـصـية لتكون موضـوعاً لهذا البحث. وقد حتَمت عليَّ هذه الدراسـة إتباع منهجاً علمياً مناسـباً لهذه الدراسـة؛ وقد اخترت منهج «الدراسـات الاجتماعية» لأنه هو المنهج المناسب لمثل هذه الموضوعات التي تعكس صلتها بالمجتمع.

وقد أخذ كثيرون من دارسـي الأدب الغربيين منذ القرن الماضـي يربطون بين دراسـاتهم والدراســـات الاجتماعية، إذ الأدب في حقيقته إنما هو تعبير عن المجتمع وكل ما يجري فيه من نظم وعقائد ومبادئ وأوضـــاع وأفكار، والأديب لا يسـقط على مجتمعه من السـماء وإنما ينشأ فيه ويصدر عنه، يصدر عن كل ما رأى فيه وأحسَّ وسمع، ناسجاً مادته من مسموعاته وإحسـاسـاته ومرئياته. وليس بصـحيح أن بين الأدباء من يسـتطيعون الانعزال عن مجتمعهم في أبراج عاجية كما يقولون، إذ دائماً تصـــلهم به علائق كعلائق ذوي الرحم، علائق منبثقة في كل ما ينظمون وكل ما يكتبون[1].

وقد تناولت في هذه الدراسة النقاط التالية:

1- الوضـع الاجتماعي لتركيا في فترة المشـروطية الثانية (1908م – 1918م/1326هـ – 1337هـ) وفيها تعرضت لعدة نقاط منها:

أ- إرهاصات إعلان المشروطية.

ب- المجتمع التركي بعد إعلان المشروطية.

2- وضع المرأة في تركيا: ومن خلال هذا الموضوع تناولت عدة نقاط منها:

([1]) شوقي ضيف(دكتور): البحث الأدبي (طبيعته. مناهجه. أصوله. مصادره)، دار المعارف، ط7، القاهرة 1972م، ص 96.

أ- المرأة عند الأتراك القدامى.

ب- المرأة عند الأتراك العثمانيين.

ج- المرأة في فترة المشروطية الثانية.

3- فخري جلال الدين كوك طولغه: وتم الحديث عن :

- مولده ونشأته وتعليمه.

- شخصية فخري جلال الأدبية.

4- المرأة عند الأديب «فخري جلال» من خلال مجموعته القصصية «الطلاق بالثلاثة».

- ❖ **الوضـــع الاجتمـاعي في تركيـا في فترة المشـــروطيـة الثـانيـة (1908-1918م/1326هـ -1337هـ)**
  - **إرهاصات إعلان المشروطية الثانية:**

بدأت الحركات الحداثية بالمعني الغربي في الدولة العثمانية في أواخر القرن الثاني عشـــر الهجري الثامن عشـــر الميلادي. وظن قادة الدولة العثمانية الذين دخلوا في وتيرة الضـعف اعتباراً من بداية القرن الثاني عشـر الهجري الثامن عشـر الميلادي أن الخروج من تيار الانكســـار هذا يمكن أن يكون في التوجه صـــوب الغرب. وبدأت مراحل التغريب مع فرمان التنظيمات الذي أعلن عام 1839م من أجل السـير قدما في طريق الإصـلاحات في الدولة العثمانية. وبدأت في فترة التنظيمات إصـلاحات في المجالات الاجتماعية والسـياسـية والعسكرية[2].

ونظراً لهذه العوامل التي أدت إلى ضـعف الدولة العثمانية وتراجعها، بدأ التسـاؤل عن سـبب تراجع قوة الدولة وضـعفها وطرحت فكرة الأخذ بالإصـلاح، وظلت هذه الفكرة تشـغل أذهان المفكرين ورجال السـياسـة المصـلحين في الدولة منذ عهد السـلطان عثمان الثاني (1618م- 1622م)، وهذا ما جعل حركة الإصـــلاح في بدايتها لا تخرج عن إطار الثقافة

yet döneminde kadın i) Ahmet Özkiraz ve M. Nazan Arslanel : ikinci meşrut2(
olmak, sosyal ve beşri bilimler dergisi, Cilt3, No1, 2011, S.2

العثمانية الإسلامية، وشخص السبب في ضعف الدولة على أنه بسبب الابتعاد عن تطبيق الشريعة الإسلامية في جميع نواحي الحياة، إضافة إلى ترك السلاطين دورهم في قيادة الجيوش ومتابعة شئون الدولة بأنفسهم ساعد على ظهور الفساد والرشوة في المناصب العليا في الدولة، فساعد ذلك على تعمق فكرة الإصلاح في الأوساط المثقفة والدوائر المتنفذة في الدولة العثمانية مما جعل فكرة الإصلاح تتحول إلى حركة مؤثرة في المجتمع والسياسة نتيجة ضعف الدولة وتراجعها[3].

وأعلنت المشروطية الأولي في 23 ديسمبر 1876م/1293هـ ولكن السلطان حل المجلس على إثر الهزيمة في الحرب العثمانية – الروسية. وخلال فترة إدارة السلطان عبد الحميد الثاني(1876م–1909م) البالغة ثلاثة وثلاثون عاماً قويت حركة "الأتراك الجدد"[4] وأجبروا السلطان في يوليو 1908م على أن يضع مشروطية جديدة. ولعبت الأحداث التي تطورت قبل 24 يوليو عام 1908م دوراً مهماً في إعلان المشروطية الثانية[5].

ويجب أن تفهم المشروطية الثانية على أنها استمرار لمساعي التجديد والتحديث التي كانت من قبل. وظهرت هذه الحركة – التي بدأت مع «عصر اللالا»[6] وانتهت مع عصر

([3]) طلال جمعان سعد الجويعد: محمد روحي الخالدي (1864- 1913م) ونظرته للإصلاحات العثمانية، رسالة ماجستير منشورة، مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدلوس للتراث الأدبي – الكويت، الطبعة الأولى، الكويت 2012م ، ص 35.

([4]) أطلق اسم "العثمانيون الجدد" علي الثوريين الذين أرادوا إحداث تغيير بالمفهوم الغربي في الجانب السياسي والاجتماعي في الدولة العثمانية في الفترة ما بين 1865م- 1890م. وأطلق علي من حملوا نفس الهدف في الفترة ما بين 1890م-1908م اسم الأتراك الجدد. ولهذا فإن مسمي الأتراك الجدد انتشر للدلالة علي الشباب المثقفين الذين كانوا معارضين لعبد الحميد الثاني. وصار يطلق مصطلح الأتراك الجدد علي الشباب الذين هربوا إلي أوروبا من اجل الحرية. وقد هرب الأتراك الجدد إلي مصر وأوروبا من اجل إسقاط عبد الحميد وإحضار المشروطية، وفي هذه الأماكن عارضوا السلطان وإدارة الدولة:

–prof. Dr.İsmail Çetişli ve diğerleri: II Meşrutiyet dönemi Türk Edebiyatı, Akçağları, İ. Baskı, Ankara 2007, S.31-32.

([5]) İhsan Burak Birecikili: yüzüncü yılında II . meşrutiyet,in ilanı üzerine Bir inceleme, Akdamek Bakış 211, cilt 2, sayı. 3, kış. 2008, s.5

([6]) هو الفترة التي تمتد اثني عشرة سنة وشهران واحد عشر يوما وتصادف سلطنة السلطان أحمد الثالث. وعصر اللاله يتضمن فترة حكم الصدر الأعظم نوشهرلي داماد إبراهيم باشا. وعصر اللاله

التنظيمات والإصـــلاحات والمشـــروطية الأولي- كنتيجة لوتيرة التغريب الطويلة. والحراك الثوري الذي ظهرت فيه المشـــروطية الثانية أثَّر على عموم الحياة الاجتماعية وليس في الساحة السياسية فقط، وأصبح سبباً لتغيرات حقيقية. وليس من السهل فهم أحداث ما بعد قيام الجمهورية دون دراسة فترة المشروطية الثانية التي هيأت الدولة ذهنياً لتغيرات مستقبلية وأرســت دعائم القومية بتقوية الشـــعور الاجتماعي وأظهرت التيار الأدبي والفكري القومي. ولهذا فإن هذا العصر له مكانة مهمة في حركة التغريب في تركيا[7]

وكانت فترة المشـــروطية الثانية واحدة من أهم مراحل التاريخ الحديث للأتراك حيث أُرسيت فيها أسس إدارة الجمهورية، بينما كانت التطورات السياسية والاجتماعية مستمرة منذ إعلان التنظيمات. وتمت العودة من جديد إلي النظام البرلماني – الذي أُلغي إلي أجل غير مسمي عام 1878م/1296هـ مع المشروطية الثانية التي أُعلن عنها 1908م/1326هـ تحت تأثير «الأتراك الجدد»[8].

وتعد فترة المشروطية الثانية (1908م – 1918م/1326هـ-1337هـ) مرحلة مهمة في تاريخ تركيا حيث شهدت تقلبات كبيرة في الحياة الاجتماعية وكذلك في الحياة السياسية. وخلال هذه الســنوات انشــغلت الدولة العثمانية بثلاثة حروب كبيرة (طرابلس غرب، البلقان، الحرب العالمية الأولى) هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنها حاولت تلبية طلبات التجديد والتحديث في إطار مساعي المثقفين الحداثية. ولم يحقق القانون الأساسي (الدستور) الذي أُعلن بعد صراعات طويلة الاستقرار الاجتماعي المرتقب منه؛ فبعد حادثة 31مارس[9] أُجبر

يعني رغبة اسطنبول التي ضاقت ذرعا من الحروب وحركات العصيان والمدن الأخرى التي قلدتها، في الاستفادة من ذوق الحياة المادي تحت إشراف إبراهيم باشا. وكانت نهاية عصر اللاله مع تنحية السلطان أحمد الثالث عن العرش في 28سبتمبر 1730م.

-Tercüman; osmanlı tarihi ansiklopedisi, tercüman gazete ve matbaası, İstanbul 1985, S.259-260.

(7) İhsan Burak Birecikili: a. g, e, s. 2.

(8) Ahmet Özkiraz ve M. Nazan Arslanel: a. g. e., s.3

(9) تجمع الجنود المنتمون لطوابير الصـيد (آوجي طابور لري) في ميدان السـلطان أحمد، وبدءوا العصيان مطلقين الرصاص في الهواء في 31مارس 1325هـــ/ 13ابريل1908م. ولما وصل

السـلطان عبد الحميد على الإقامة الجبرية في سـلانيك. وكان عدم خبرة إدارة الدولة لدي جماعة الإتحاد والترقي قد فتح الطريق أمام العناصر غير المسلمة والقومية لإعلان العصيان وشق عصا الطاعة مرات ومرات في الأراضي العثمانية[10].

وتعتبر هذه الفترة من حياة الدولة العثمانية فترة مؤلمة وهي الفترة التي اهتمت كثيراً بالمجتمع التركي حيث بدت كما لو تعتمد كثيراً على المجتمع. وكانت دعاية الفترة تبعث بالأمل الكبير للشعب حيث أظهرت صورة الاعتماد على الشعب والبحث عن السعادة لهذا الشعب والعيش في تآخي ...الخ. ويظهر هذا الأمر انفعال الشعب وسعادته وتفاعله مع بعضه البعض عقب إعلان المشروطية. وتركت العصابات غير المسلمة أسلحتها فترة قصيرة. وفُهمت الحرية في هذه الفترة على أنها الاستقرار ورغد العيش والأمن. ولكن لم تتحقق هذه الأشياء[11].

❖ **المجتمع التركي بعد إعلان المشروطية:**

عندما بدأت هذه الفترة كان الناس يسبحون في ظلمات الجهل. وفي ذلك الوقت رُبط تخلف المجتمع والدولة بعامل الجهل هذا، بشكل أساسي. وشُرع في عملية التعليم الشعبي الواسعة لمحو هذه الجهالة حيث سُجل في المؤسسات التعليمية العالية بعض الأشخاص الذين لا يستطيعون التعلم فيها[12]. وفي هذه الفترة من حياة الدولة العثمانية استجدت الكثير من المشكلات والتغيرات السياسية والاجتماعية. كما جلب «الأتراك الشبان» للدولة الأفكار الغربية والقضايا التي نوقشت في الغرب. وحاول رجال الفكر في هذه الفترة إيجاد الحلول لمنع انهيار الدولة العثمانية التي كانت تنهار بالفعل[13].

خبر عصيان 31مارس إلي سلانيك، أرسلت جماعة الاتحاد والترقي رسائل التهديد التي تستهدف السلطان وأهالي اسطنبول. لمزيد من المعلومات انظر:
-prof. Dr.İsmail Çetişli ve diğerleri: II Meşrutiyet dönemi Türk Edebiyatı. S.65-69.

([10]) Yard. Doç. Dr.Nesime Ceyhan: ikinci meşrutiyet devri Türk hikayesinde "Din duygusu" ve "Dini meselelerin Tenkidi", s. 137 – 138.

([11]) prof. Dr. Mustafa Ergün:ikinci Meşrutiyet Devrinde Eğitim Hareketleri, ocak Ankara 1996, s. 37-38

([12]) prof. Dr.Mustafa Ergün: a. g. e., s. 39.

(13) Yusuf Dogan: Celal Nuri ileri'nin Dini ve İçtimai Hayata Bakışı, Ankara Üniversitesi - sosyal Bilimileri Enstitüsü, Ankara 2003, s. 9

وبعد إعلان المشروطية رُفع الحظر عن حرية الحديث والكتابة والرقابة عليها؛ وأطلقت الحرية الكاملة في هذه الأمور. وتم العفو عن الذين نفوا من البلاد بسبب أفكارهم السياسية؛ وعاد هؤلاء إلي الوطن كأبطال للحرية. وأصـــبحت هناك حرية للتشـــكيلات الاجتماعية والسياسية مثل الأحزاب والجمعيات. وعاش المجتمع التركي في فوضي تامة في فترة الخمسة أشـــهر منذ 24 يوليو 1908م وحتى 17 ديســـمبر 1908م وهو التاريخ الذي فُتح فيه المجلس. ونتيجة لهذا الانقلاب السـياسـي سـقطت إدارة الدولة والمجتمع في فوضـي كبيرة. وأصبحت تجاوزات الحركات المخالفة لا يمكن التحكم فيها، ولم تُفعل الرقابة. وأُنشئت أحزاب وجمعيات عديدة، وصدرت بعض النشريات المفيد منها والضار. وجميعها ليس عليها رقابة؛ كأنه لا يوجد شيء اسمه دولة[14].

وأهم هذه التطورات الاجتماعية لهذه الفترة هو ظهور جمعية الاتحاد والترقي على وجه الســرعة في عموم أرجاء الوطن وانضــمام أفواج من الشــعب كأعضــاء في هذه الجمعية. وســيطرت هذه الجمعية على الرأي العام وحلت محل الســلطة الحاكمة في كل مكان. ولكن الناس أصيبوا بخيبة أمل في فترة التخبط الواقعة بين سنة 1908م – 1909م/1326هـــ-1327هـــ. لأن في هذه اللحظات الأولى أعلنت بلغاريا الاستقلال، وضمت النمسا البوسنة والهرســك إلى دولتها. وانضــمت جزيرة «كريت» إلى اليونان. وكانت هذه الأحداث جميعها ردود الفعل الأولية لسـياسـة إحياء الدولة العثمانية التي أريد تطبيقها في بدايات المشـروطية الثانية[15].

وكان المجتمع التركي في فترة المشروطية الثانية ليس له تأثير في المجال الاقتصادي حيث كان معظم العسكر والموظفون والنساء في القرى والمسنون جميعهم فلاحين. أي أنهم كانوا في وضـع لا يسـتطيع مجابهة الضـغوط التي قامت بها أوروبا في هذا المجال. وكانت الصناعة والتجارة قد انتقلت إلي أيدي من ليسو تُركاً. وكان الأتراك لا يستطيعون فعل شيء

(14) prof. Dr.İsmail Çetişli ve diğerleri: II Meşrutiyet dönemi Türk Edebiyatı, Akçağları, İ. Baskı, Ankara 2007, S.53-54

(15) prof. Dr. Mustafa Ergün: a. g. e., s. 38

سوى المقاطعة فقط أمام الأموال الأجنبية، ولم يكن لهذا تأثير كبير على الشركات الأجنبية. وكان كثير من الكتاب خلال فترة المشروطية الثانية قد بينوا قائلين بأن الثورة السياسية لن تؤتي ثمارها ما لم تقم ثورات تدعمها في المجال الاقتصادي والتعليمي والاجتماعي[16].

والتطور الاجتماعي الآخر المهم لفترة المشروطية الثانية هو تطور الحركات الصحفية وسرعة محاولات «تشكيل الرأي العام» وزيادة الفعاليات الاجتماعية. وتُعد هذه الفترة أكثر فترات الدولة العثمانية نشاطاً من ناحية الانشغال بأمور الجمعيات. وبصفة خاصة فإن الانتخابات البرلمانية زادت من الحراك المجتمعي الموجود في الوطن[17].

وعندما أُعلنت المشروطية الثانية كان الأتراك في الدولة العثمانية يعيشون في القرى بصفة عامة. وكانوا يعملون في مهنة الزراعة وتربية الحيوانات وفي الجندية والوظائف، كما كانوا يعملون كحمالين وسائقين وإسكافيين، وأيضاً يعملون في مهنة السروج. أما في المدن والبلدات فكان يعيش غير المسلمين مثل الروم والأرمن واليهود. وكانت الأعمال المهمة والمربحة مثل التشغيل (التوظيف) والصناعة والتجارة والسياسة والطباعة والنشر تعود إليهم. وكانت أعمال الصادرات والواردات والتعدين والطب والصيدلة والصرافة والبنوك في يد اليهود والنصارى بصفة عامة. وبينما كان الأتراك يعملون في الجندية والوظائف والفلاحة كانت العناصر غير المسلمة تعمل في الإقراض بالربا وتفتح الدكاكين ويعيشون في الفيلات والقصور الفارهة في رفاهية وراحة. أما الأتراك الفقراء فكانوا يئنون تحت فقر مدقع. وعلى كل، كانت الأموال والأعمال المعتبرة والحياة الكريمة جميعها من نصيب الرعايا غير المسلمين ولكن شظف العيش والشقاء والحاجة والتعاسة والفقر والتخلف كان من نصيب الأتراك.[18]

وكانت الدولة العثمانية قد وصلت إلي مرحلة تردت فيها أحوال المجتمع. حيث انتقلت المراكز التجارية والصناعية والأراضي الخصبة والأملاك التي كانت في أيدي الأتراك من قبل إلي أيدي غير المسلمين نتيجة السياسات السيئة. ودخلت البلاد علاوة على الشركات

(16) prof. Dr. Mustafa Ergün: a. g. e., s. 38-39.
(17) A. g. e., s. 40.
(18) Prof. Dr. İsmail Çetişli ve Diğerleri: a. g. e., s.59.

التجارية والتشـغيل والمؤسـسـات النصـرانية واليهودية المحلية، الشـركات التجارية والتشـغيل والمؤسـسـات الألمانية والانجليزية والفرنسـية واليونانية وبدأت تسـتغل المناطق الحيوية للدولة والأماكن المهمة والتشـــغيل والصـــناعة والتجارة. وأصـــبحت اليونان في أزمير والألمان في اســـتانبول والأناضـــول والجزيرة العربية مالكين لخطوط الســـكك الحديدية، وســـيطروا على الاقتصـــاد. ووضـــع الانجليز أيديهم في «اطنة» على أخصـــب الأراضـــي الزراعية والحقول والمزارع[19].

وكانت طوائف «اللواند» المعروفة باسـم الفرنجة قد أصـابها ثراء عظيم دون أن تؤدي الضـــرائب على أثر الامتيازات التي وفرتها لهم الامتيازات الأجنبية. وكان هؤلاء قد أقاموا الأحياء المستقلة بهم داخل الدولة. فعلى سبيل المثال يُتحدث بالفرنسية بدلاً من التركية. وفي أزمير أصـــبح ممنوعاً على الأتراك دخول بعض الأحياء. وكانوا يؤذون الأتراك ويحتقرونهم في القطارات والترام. يعني اقتسـم النصـارى واليهود سـواء من الداخل أو الخارج جميع موارد الدولة التي كان الأتراك حراساً لها وعانوا من أجلها وأسالوا الدماء في سبيلها[20].

❖ وضع المرأة في تركيا:

تعتبر المرأة الركن الركين للمجتمع البشـــري وأســـاس الأخلاق العامة، وعقدة الرابطة المقدسة وحديقة الإنسانية؛ فهي التي تخرج الإنسان من الوحشية وتضعه على طريق المدنية. والنسـاء هن من يُحَسنَّ أخلاق وطباع وتصـرفات المجتمع البشري وهن من يسـقن الناس إلي الألفة والمحبة[21].

والعائلة هي المرأة، والمجتمع البشـري عبارة عن عائلات؛ وسـعادة المجتمع البشـري متوقفة على سـعادة العائلة، وسـعادة العائلات مرهونة بتربية النسـاء؛ وبهذا تكون قد ثبتت

([19]) A. g. e., s.60 .
([20]) A. g. e., s. 60.
(21) شمس الدين سامي: قادينلر، ط2، استانبول 1311هـ ، ص6.

قضـيتان هما: «تربية النسـاء توجب سـعادة المجتمع البشـري»، و«سـعادة المجتمع البشـري متوقفة على تربية النساء»[22].

ويري «جلال نوري» أن الأمم التي لم تنهض نسـاءها لا يمكن أن تكون أمة متطورة. فالمرأة ليسـت أسـيرة عند الرجل ولا شـيئاً مهملاً ولا بضـاعةً تباع وتشـتري. فالله خلقها لتكون عوناً للرجل وشـــريكةً لحياته... إلا أن الظلم والجهل لم يريان الحقوق التي وهبها الإســـلام للمرأة، ودمرا العائلة والأطفال والمجتمع والأمة الإسلامية بتحقير المرأة[23].

ولا نكن مبالغين إذا ما قلنا أنه عُرفت مؤخراً طبيعة النساء وأهميتهن، وأنهن لم يعاملن في أي وقت قط بالشـكل اللائق بهن. فلم يُنظر في أي وقت للمرأة بنظرة حقيقية يعني بنظرة أنها أنثى؛ وإنما كانت تُعد المرأة أحياناً أسـيرة ومال وملك للرجال وأحياناً أخرى لعبة وتسـلية وزينة لهؤلاء الرجال. وكانت الأمم القديمة والجديدة إما تُفْرِطْ أو تُفَرّطْ في حق المرأة[24].

وحقيق بالذكر أنه كانت الكتابة بخصـــوص المرأة حتى إعلان الجمهورية قليلة وربما نادرة في بعض المراحل ويقول «شـمس الدين سـامي» في هذا الصـدد: لقد أقدمت وتجرأت على الكتابة في بحث مهم بهذه الدرجة بسـبب أسـفي لعدم رؤيتي أي كتابة في لغتنا التركية بخصـوص هذه المسألة المهمة. ورأيت أن أول ما نحتاج إليه هو إصـلاح أحوال نساءنا لأن ذلك هو السبب الرئيسي لنهضتنا وسلامتنا[25].

والمرأة لا يمكن أن تكون عبارة عن زوجة وأم طفل فقط داخل العائلة كالرجل لا يمكن أن يكون عبـارة عن زوج وأب فقط لعـائلـة... فـالمرأة إن لم تكن مؤثرة مـاديـاً ومعنويـاً في المكونات المدنية والاجتماعية والاقتصـــادية للمجتمع فلا تكن في أي وقت قط «أســـاس إنســـان». كما أن المرأة إن لم تكن محيطة بالمجتمع وملمة بالتربية والإدارة الاجتماعية فإنها لا يمكن أن ترقى إلي مسـتوى الأمومة النافع للوطن والمجتمع؛ فتكون بمنزلة أنثى حيوان تلد أو تبيض فقط ... وعلى هذا فهي ليسـت في المجتمع سـوى أداة متعة وفحش وشـهوة وسـفه.

(22) شمس الدين سامي: المرجع السابق، ص20.

(23) Yusuf Dogan : a. g. e., s. 91-92

(24) شمس الدين سامي: مرجع سابق ص4.

(25) شمس الدين سامي: المرجع السابق، ص4.

وخلاصـــة القول فإن المرأة والأم كلما بقيت بعيدة عن المكون المدني للمجتمع وكلما كانت غير مشغولة بالوظائف الاجتماعية فإنها تكون مجرد أنثى سواء في العائلة أو المجتمع يعني تكون زوجة مأمورة فقط لشهوة الرجال[26].

ويري «جلال نوري» أن خلاص المســـلمين والأتراك ورقيهم مربوط برقي مســـتويات النســـاء. فلا توجد أمة في الدنيا تقدم رجالها ونســـاءها متخلفات. فلو يريد الأتراك وعموم المسلمين أن يكونوا سعداء فعليهم إصلاح حال النساء قبل كل شيء. فحينما يقام البناء، لا يبدأ بالسـقف أولاً، ولكن يُحفر الأسـاس قبل كل شـيء. والمرأة هي حجر الأسـاس في بناء الإنسانية[27].

- **المرأة عند الأتراك القدامى:**

كانت المرأة تتمتع بمكانة مهمة ورفيعة في الحياة الاجتماعية عند الأتراك القدامى. وكانت المرأة – كما هو الحال اليوم – تشـــارك بشـــكل كبير في الفعاليات الاجتماعية والاقتصادية. فكانت نساء الترك القدامى تعمل في الصيد والزراعة خلاف الأعمال المنزلية، وتكون صـــاحبة قطيع وتذهب إلي الحرب مع الرجال، أي أنها تشـــارك الرجال في كل شيء[28].

وكما هو معلوم فإن مكانة المرأة في المجتمع التركي بالغة الأهمية. ففي مجتمعات الرُّحل التي تتعرض لخطر العدو في كل لحظة تكون المرأة محاربة كالرجل. وهذا الوضـــع جعل المرأة متســـاوية في المســـؤولية مع الرجل ولهذا تحملت المســـئولية معه. ويجل الرجل المحارب المرأة بسبب الأمومة. فهذه الجملة التي وردت في كتابات شاهد من شواهد القرغيز: "عبدت مدينتي، عبدت الهي، عبدت أمي" لها معنا كبيراً. ويعود هذا الشـــاهد للقرن التاســـع

(26) صلاح الدين عاصم : تورك قادينلغنك تر ديسي، تورك يوردي كتابخانه سي، استانبول، ص14-15

([27]) Yusuf Doğan: a. g. e., s. 92.

([28]) Seyit Kemal Kara Ali oğlu: a. g. e., 5. Cilt, s. 613.

الهجري الخامس عشـــر الميلادي. كما أن هذا الســـطر موجود في شـــاهد رجل تركي غير معروف الاسم وهو يبين قيم المجتمع ونظرة هذا المجتمع للمرأة[29].

وكانت المرأة في العهود القديمة تستحوذ على أهمية عظيمة حيث كانت تمتلك الأعمال في المجتمع والوظائف الاجتماعية وحتى الثروات الاقتصـادية. ومع أن أعظم عمل للمرأة هو الانشـــغال بأطفالها إلا أن المرأة التركية كانت تشـــارك إلى حد ما في تاريخ الأمة والحياة الاجتماعية[30].

وفي التشـكيلات الاجتماعية والإدارية عند الترك القدامى تكون المرأة والأم دائما بجوار الرجل، حتى أنها في بعض الأماكن كانت تأخذ مكانةً أعلى منه. ومن السـهل رؤية هذا الآن في العائلة في أنماط حياة بطون أتراك الأناضـول الذين حافظوا على أسس الديانة الشامانية، وتعد الأم والأمومة في المجتمع التركي أكبر مركز وأهم ركيزة وأعظم محرك... وخلاصـــة القول فإن المرأة مسيطرة ومحركة لكل ما هو مرتبط بالمجتمع التركي، وحافظت على موقعها هذا في كل تاريخها ولم تنفصل في أي وقت قط من جانب الرجل[31].

- **المرأة عند الأتراك العثمانيين:**

إن العائلة في المجتمع العثماني صـورة واقعية للعائلة في الدين الإسـلامي الذي يجعل الجنة تحت أقدام الأمهات، وليسـت وسـيلة تمتع ولهو. بل نجد في دفاتر (سـجلات) المهمة قرارات للديوان بمعاقبة وتغريب (نفي وإبعاد) نساء ورجال لسوء أخلاقهم والإساءة إلي سمعة أهل الحي والأذى اللاحق بالأهالي بناء على شكوى الناس أو بتثبيت من المسئولين[32].

ويؤمن «جلال نوري» بأن بعض المشـــكلات الموجودة في المجتمع العثماني تنبع من تحقير المرأة. ولهذا السبب فإنه يجب عدم النظر الي المرأة كمجرد شـيء وأنه لابد من إلغاء

İnci Enginün: Yeni Türk Edebiyatı Araştırmaları, Dergah Yayınları, 5.)[29](basılmış, Ağustos 2004, s. 268.

(30) صلاح الدين عاصم: مرجع سابق، ص5

(31) صلاح الدين عاصم: المرجع سابق، ص24-25

(32) أحمد آق كوندوز (دكتور) وسعيد اوز تورك (دكتور) : الدولة العثمانية المجهولة (303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية)، وقف البحوث الإسلامية ، استانبول 2008 ، ص646.

الطلاق من طرف واحد. وطبقا لهذا يجب إجراء الإصـــلاحات المرتبطة بالمرأة حتى ولو بشــكل أقل من الإصــلاحات الفنية. ويقول جلال نوري أنه يجب مشــاركة المرأة في الحياة المجتمعية وأنه لا يمكن أن يتطور المجتمع بدون المرأة ومشاركتها المجتمعية[33].

وكانت أهم إصلاحات فترة التنظيمات هو بدء مشاركة النساء في الحياة الاجتماعية – حتى وإن كانت مشـــاركة محدودة – نتيجة للإصـــلاحات المرتبطة بالتعليم. وفي هذه الفترة أجريت تغييرات في القوانين لصـالح النسـاء، وإضـافة إلى هذا بدأت تكتب الكتابات المدافعة عن حقوق المرأة في مجالات الفكر والأدب[34].

ويبرز لنا أحد كتاب فترة المشـروطية صـورة المرأة قبل هذه الفترة وبالأخص في القرون الأولى من عمر الدولـة العثمانيـة وقبل الانفتاح على الغرب أثناء مقارنته بين نســـاء فترة المشـروطية والعهود السـابقة حيث يقول: كانت جداتهم عندما كن يخرجن إلي الشـارع يسـترن أنفســـهن تماماً تبعاً لعاداتنا القومية. وكن لا يضـــعن أي علامة من علامات الزينة على جلابيبهن وخُمُرِهن... وفي تلك الفترة كان من حق النســـاء أن يتزين، ولكن هذه الزينة كانت النساء يقمن بها في منازلهن فقط[35].

- **المرأة في فترة المشروطية الثانية:**

من المعلوم أن أحوال أي أمة تكون متوائمة مع أحوال نسـائها دائما. فالأمة التي تكون نســـائها قد نالت حظها من التربية هي أمة على قدرٍ كبير من التربية، والأمة التي تكون نسائها على غير تربية هي أمة غير مهذبة، والأمة التي تكون نسائها مقتصدة ولهن فعاليات هي أمة غنية وعامرة، والأمة التي تكون نسـائها مسـرفة وكسـولة هي أمة فقيرة وخربة، والأمة التي تكون نســائها عفيفة هي أمة مصــونة، والأمة التي تكون نســائها في ســفاهة هي أمة

([33]) Yusuf Doğan: a. g. e., s. 92

([34]) Ahmet Özkiraz ve M. Nazan Arslanel: a. g. e., s. 2.

(35) ابن الحقي محمد الطاهر : مشروطيت خانملري، اعتماد كتابخانه سي، استانبول، 1328هـ ،ص11

سفيهة. فالنساء أساس المجتمع الإنساني. وتتوقف المدنية وسعادة المجتمع الإنساني على تربية النساء[36].

كما أن رقي الشعوب الإسلامية وتقدمها منوط بصلاح حال النساء ومرهون به. إلا أن الأوضاع الحالية للنساء المسلمات مانعة للرقي والتمدن، ولتربية المجتمع الإنساني وإكسابه حسن الخلق. وإضافة إلى أن أوضاع النساء الأوروبيات ليست مناسبة للظروف والحاجة فإنها تسببت في فساد الأخلاق؛ ولذلك فمن أجل إصلاح حال النساء المسلمات يجب عليهن عدم تقليد العادات والسلوكيات الموجودة في أوربا[37]. لأن التاريخ يظهر صراحة أن الأمم التي تغرق في الملذات والسفاهة يُحكم عليها بالزوال. فلو أن النساء يستفدن من كل حقوقهن في إطار مصالح أمتهن، ولو يُزين فكرهن وقلوبهن بالعلوم والمعارف والفضائل فإن الوطن سوف ينجو من المهالك في المستقبل[38].

وصار موضوع المرأة الموضوع الذي نوقش وكتب فيه كثيراً من طرف مثقفي وكتاب الفترة. ونُظر للمرأة بين مثقفي المشروطية الثانية على أنها العنصر الأساسي في عملية الرقي والتغيير المجتمعي. واهتم المثقفون بالتيارات الفكرية لذات الفترة بضرورة أن تكون المرأة صاحبة كلمة كي يرتقي المجتمع، ودافعوا عن فكرة أنه من الضروري أن تشارك النساء في الحياة الاجتماعية. وقُيِّمت الموضوعات المرتبطة بالمرأة في هذه الفترة بصور أو وجهات نظر مختلفة في التيارات الإسلامية والتغريبية والتركية. فمثقفي التيار الإسلامي يقولون أنه لا يوجد شيء يمكن أن يُؤخذ من الغرب، ويقيّمون الحركات النسائية وحرية النساء في التعبير على أنه تقليد للغرب. أما أصحاب التيار التغريبي فإنهم يرون أنه أُخذت حقوق النساء من أيديهن بتأثير التاريخ والعادات التركية. ولكن أصحاب التيار التركي أو القومي رأوا ضرورة مشاركة النساء في الحياة الاجتماعية في كافة المجالات لأن هذا الأمر شرط للتغيير

(36) شمس الدين سامي: قادينلر، ص47.
(37) المرجع السابق، ص93-94
(38) ابن الحقي محمد طاهر: مشروطيت خانملري، ص17.

الاجتماعي وأنه من الضـــروري مشـــاركة النســـاء في الحياة الاجتماعية للارتقاء بالناحية الاقتصادية[39].

ويري مفكرو تيار القومية التركي أن المســـاواة بين الرجل والمرأة ضـــاعت مع اعتناق الإســـلام، وأنه لا بد من إجراء إصـــلاحات قانونية واجتماعية لكي تتحقق من جديد هذه المســـاواة في الحياة الاجتماعية. وقام "ضـــيا كوك آلب"(1876م–1924م) و"خالدة أديب"(1884م–1964م) و"أحمد أغا أوغلو" – من الأســـماء البارزة لتيار القومية التركية والذين رسموا نموذج المرأة التركية الحديثة – بوضع السياسات للحكومة في موضوع المرأة. والنقطة المشتركة في نقاشات مثقفي تيار القومية التركية هي أن وضع المرأة شرط لتطور البلاد[40].

وكان العنصر الآخر لنزعة التغريب الحضارية هو مسألة المرأة. حيث نوقش باستمرار حبس المرأة التركية في المنزل، وتجردها من المجتمع وحرمانها من بعض الحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وفي هذا الصدد يري أصحاب تيار التغريب أن المرأة الغربية أكثر حظاً وتطوراً من المرأة التركية في كثير من المجالات، ويبدون اقتراحاتهم المتعلقة بهذا الموضـــوع. ويحاولون من جانبهم نقل حقوق المرأة التي ظهرت في الغرب والأفكار المرتبطة بوضـــع المرأة. فعلى ســـبيل المثال دافع «عبدالله جودت» (1869م – 1932م) عن الحركة النســـائية وحقوق المرأة. وأصـــحاب نزعة التغريب ضـــد الزواج بواســـطة الخاطبة وضـــد تعدد الزوجات والطلاق بيسر وهروب النساء من الرجال وابتعادهن عنهم وعدم أخذهن دورهن في الفعاليات الاجتماعية وأيضاً ضد تحجُّب المرأة[41].

وقام مثقفو فترة المشـــروطية الثانية بعقد مقارنات من جوانب مختلفة بين المرأة الغربية والمرأة التركية في الرحلات التي قاموا بها إلى الغرب. وفي هذه المقارنات التي أجروها وجدوا

([39]) Ahmet Özkıraz ve M. Nazan Arslanel: a. g. e., s. 8.
([40]) A. g. e., s. 8.
([41]) prof. Dr. İsmail Çetişli ve diğerleri: a. g. e., s. 477.

المرأة التركية متأخرة جداً قياســـاً بالمرأة الغربية من ناحية وضـــعها الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والتعليمي[42].

وقد فهمت النســاء إعلان المشــروطية الثانية على أنه إعلان للحرية. والنســاء اللاتي بدأن يظهرن كثيراً في الحياة الاجتماعية كنتيجة للأهمية التي أولتها الدولة لموضـــوع تعليم المرأة بداية من النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي الثالث عشر الهجري أكثرن من عدد المجلات التي بدأن يصدرنها مع إعلان المشروطية الثانية. وقمن بفعاليات كبيرة في الجمعيات التي زاد عددها يوما بعد يوم[43].

وأنشئت في فترة المشروطية الثانية النوادي والجمعيات الجديدة. وبدأت في هذه المرحلة حملات الإصــلاح المهمة بخصــوص حقوق المرأة وفي الزواج صــار عقد القران في البلدية شرطاً قانونياً. وصدر عام 1917م/1336هـ قرار حقوق العائلة، وترك إمكانية الزواج بامرأة ثانية على رضـــا الزوجة الأولي. وعندما أُخذ المواطنون البالغون إلى الخدمة العســكرية في حروب البلقان والحرب العالمية الأولي، شــغلت النســاء الأماكن الشــاغرة في دوائر الدولة. وهكذا شاركت المرأة في الحياة الشعبية. وسعت المجلات والجرائد التي نشرت في اسطنبول وسلانيك إلي نشر حقوق المرأة[44].

وصارت النساء في هذه الفترة فاعلات إلي حد ما في الحياة الاجتماعية حيث بدأن في المشـاركة في المؤتمرات ودخول الجامعة وإقامة الجمعيات الخيرية والاشـتراك في المناقشـات الصـــحفية[45]. ولعل إمكانية التعليم التي وفرتها المشـــروطية الثانية للمرأة التركية أدت إلى مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية والكفاح من أجل إظهار أنفسهن في المجال الاقتصادي. وقد أدت مشـاركة المرأة في الحياة الاجتماعية والاقتصـادية إلى تشـكيل الجمعيات النسـائية. وكان زيادة عدد المتعلمات في فترة عبد الحميد الثاني (1876م-1909م) واحداً من مصادر الحركات والمنظمات النسائية في فترة المشروطية الثانية[46].

([42]) A. g. e., s. 477.
([43]) Ahmet Özkiraz ve M. Nazan Arslanel: a. g. e., s. 3.
([44]) İhsan Burak Birecikli: a. g. e., s. 10.
([45]) prof. Dr.Mustafa Ergün: a. g. e., s. 40.
([46]) Ahmet Özkiraz ve M. Nazan Arslanel: a. g. e., s. 2.

ويلاحظ خلال الفترة التي بدأت مع التنظيمات واسـتمرت مع إعلان المشـروطية الثانية التي قبلتها النساء كإعلان للحرية أن النساء اللاتي يلعبن دور الأم والزوجة وربة المنزل بدأن حتى هذا الوقت يقدمن الطلبات بأمل أن ينالوا أوضـــاعاً أخرى في الحياة الاجتماعية. وأصـبحت الحركة النسـائية التي بدأت بعد إعلان المشـروطية الثانية ومسـألة حتمية اشـتراك المرأة في الحياة الاجتماعية موضـــوع الســـاعة في المجلات والجرائد المختلفة. وأفردت هذه المجلات والجرائد مكاناً بين صـــفحاتها للصـــراعات التي قامت بها النســـاء الغربيات لكي يشـاركن في الحياة العصـرية، وتناولت هذه الموضـوعات كي تكون نموذجاً للمرأة العثمانية، كما تناولت مسألة المرأة بموضوعات مثل تعليم المرأة ومشاركتها في الحياة الاجتماعية والظلم الذي تعرضت له النساء.... وأخذت تصدر مجلات خاصة بالمرأة التركية مثل: حياة المرأة، إحساس المرأة، شباب المرأة[47].

وقد أُنشـــئت معظم جمعيات المرأة في فترة حروب البلقان والحرب العالمية الأولى وحرب التحرير كجمعيات مسـاعدة ودعم. حيث كانت جمعية «إمدادية» (جمعية المسـاعدة) التي كانت تترأسها "فاطمة علية" في 1908م/1326هـــ هي أول جمعية نسائية لهذه الفترة، وقد أُنشئت بهدف توفير الدعم المتمثل في الملابس الشتوية للجنود العاملين في حدود الروم. وفي فترة المشـروطية الثانية أسـست الجمعيات ذات الهدف التعليمي. واهتمت جمعية حماية الســـيدات الأتراك العثمانيات بمشـــكلات الأرامل واليتامى الذين بقوا فقراء وبلا عائل. وهذه الجمعيات ذات الهدف التعليمي هي الجمعيات التي أنشـئت بمقصـد تعليم النسـاء وتثقيفهن وتطوير أوضاعهن في كل مجالات الحياة ولاسيما في مجال الثقافة. وجمعية «تعالي نسوان» التي أسستها "خالدة أديب" 1909م/1327هـــ قدمت النشريات لكي تزيد من معرفة النساء وتثقيفهن. وجمعية الدفاع عن حقوق النسـاء العثمانيات التي أسـست عام 1913م/1332هـ عملت على فتح مجال العمل للنساء وزيادة مستويات التعليم لهن والارتقاء بأوضاعهن[48].

([47]) A. g. e: s. 6.
([48]) A. g. e: s. z.

ونود أن نشـــير إلي أن المرأة التركية في هذه الفترة من عمر الدولة العثمانية قد تأثرت كثيراً بنزعة التغريب التي بدأت منذ عهد التنظيمات وأخذت تتقمص الحياة الغربية وتقلدها وتتخلى شيئاً فشيئاً عن القيم والعادات والتقاليد العثمانية الشرقية الإسلامية. ومما لاشك فيه أن النساء الثريات وأصحاب الطبقات العليا في المجتمع لعبن دوراً كبيراً في إفساد المجتمع وبالأخص المرأة. ويقول أحد الباحثين الأتراك في هذا الموضـــوع: ليكن في معلومكم أنه لا يوجد في الدنيا شيء قط بلا سبب. ولذا فإن سبب انحراف النساء في هذا الطريق المغلق وجلبهن المصائب والسفالة للوطن ولأنفسهن هن السيدات الثريات وصفوة المجتمع. وهؤلاء السيدات الثريات واللائي يشعرن بالعظمة فإنهن بسبب دلال أزواجهن أو آبائهن كن ينفقن ما يقع في أيديهن من ليرات تركية في سبيل التفرنج أي التشبه بالغربيات... وأدرك الأجانب هذا الشغف لدي النساء؛ ولهذا بدءوا في إحضار آلات وأدوات السفاهة التي كانت تستخدمها النساء الأوربيات الساقطات إلى تركيا. وبدأ الأجانب في إحضار هذه الأشياء إلي المجتمع التركي منذ عصر محمود الثاني (1808- 1839م/1226هـ-1255هـ). فمنذ ذلك الوقت وحتى الوقت الراهن (أي فترة المشـــروطية الثانية) قام الأجانب أو الغربيون بإغراق المجتمع التركي بهذه الأشياء التي تنبو عن الذوق والأخلاق قائلين عليها«أدوات زينة»، وحرموا نساء الترك اليوم من قيم الترك وقيافتهم[49].

ويشير أيضاً نفس الباحث إلي فهم المرأة الخاطئ لإعلان المشروطية الثانية وإساءتها لفهم الحرية حيث يقول: "يا نساء المشروطية! إن نداءكم بهذا طبيعي جداً. لأن المشروطية ليست من أجل الرجال فقط. فهي تشمل النساء كالرجال. إن المشروطية التي أُعلنت لتكون الباعث على نجاة الأمة وبقاء الدولة كانت ستعيد عقولكم إلي رؤوسكم... إلا أنكم فهمتم هذا بشكل مغاير. كما أن أغنياءكم فهموا ذلك بشكل سيء للغاية»[50].

وكل ذلك أثر على فكر وثقافة المرأة التركية التي لم ترَ من الحياة سوى الزينة واللهو. وبســـبب أنه حُرم المجتمع التركي في تلك الآونة من المرأة ذات الطابع الوطني والقومي والمتحضـــرة والاجتماعية فإن الإلهام أو الخيال المبتكر والخلاق الذي تقدمة المرأة لأدبنا

49() ابن الحقي محمد طاهر: مشروطيت خانملري، ص12.
(50) المرجع السابق: ص13

بحاجة روحية وحياتية وبقى منحصـراً في السـفاهة واللهو واللعب والعشـق والطرب. لأنه من الطبيعي إذا لم تســـتطع المرأة إيجاد خيال مبتكر وراقي فإنها بالتأكيد تجنح إلي الخيالات المبتذلة والدنيئة وتعمد إلي الكلمات النابية التي يمجها الذوق(51).

ولم يحقق أصحاب تيار التغريب وحدة الفكر فيما بينهم في موضوع المرأة. فبينما يقول صـلاح الدين عاصـم إن النسـاء دُهسـوا بفعل القيود الدينية وأن الإسـلام والتسـتر أي الحجاب هما الســـبب الوحيد في جعل المرأة التركية تبقى في المرتبة الثانية وأنه يجب التخلص من عموم القواعد الإســلامية، نجد «عبد الله جودت» لا ينتقد الدين كثيراً في موضــوع المرأة مثل أصـــحاب تيار التغريب الآخرين، ويرى أنه لا بد من إلغاء تعدد الزوجات والقواعد المرتبطة بالزواج والطلاق وإتاحة إمكانية التعليم للنساء بصورة اكبر(52).

أما أصحاب التيار الإسلامي فإنهم يرون ضرورة أن يرجع المجتمع التركي إلى القواعد أو الأســس الإســلامية، ويجب أن تُرتب حقوق العائلة وفقا للمبادئ الإســلامية من جديد، ويجب أن يهدف تعليم المرأة إلي تنشـــئة أجيال ســـليمة وأكثر تديناً وليس لإدخال المرأة في الحياة الاجتماعية. ويرى هؤلاء المفكرون أن عدم إتباع أحكام الشريعة هو السبب الذي أفسد العائلة، كما انتقدوا الأفكار النســائية التي سُــعى لتلقينها للمرأة، وأرادوا أن يُحدد مجال حياة المرأة بالعائلة(53).

❖ فخري جلال الدين كوك طولغه (1895م-1975م)

▪ مولده – نشأته – تعليمه

ولد فخري جلال الدين كوك طولغه في 20 مايو 1895م. وهو ابن أحمد جلال الدين بـك من موظفي وزارة الخـارجيـة. أنهى تعليمـه الابتـدائي في مـدرســـة «دار الأدب» في «قوصـــقه» باســطنبول. كما أنه أتم تعليمه الإعدادي في مدرســة «مرجان» الإعدادية عام

(51) صلاح الدين عاصم: مرجع سابق ، ص130

(52) Ahmet Özkiraz ve M. Nazan Arslanel: a. g. e., s. 8.

53() A. g. e: s. 8- 9.

1912م، وتخرج من كلية الطب – جامعة اســـتانبول 1918م[54]. وما أن أنهي «فخري جلال» دراســـته في كلية الطب حتى أدى الخدمة الوطنية كطبيب في «چناق قلعة». لهذا فإنه كان شـــاهداً على معارك چناق قلعة التي تزين صـــفحات التاريخ التركي بشـــكل دام. وأصبحت مشاهداته لهذه الأيام المصيرية موضوعا لبعض حكاياته[55].

وعمل كأخصـــائي في مســـتشـــفي الأمراض العقلية والعصـــبية في «طوب طاشـــي» بـــ«اسكدار». وهنا تقدم برسالة الدكتوراة تحت عنوان «مزاج فضولي» لهيئة الحكم والمناقشة التي تتشكل من سليمان نظيف وجناب شهاب الدين وعبد الله جودت. وأرسلت هذه الرسالة إلى ألمانيا لتترجم وتطبع. ولكن بســـبب هزيمة الألمان والأتراك في نهاية الحرب العالمية الأولى فقد فقدت هذه الرسالة وسط هذه الاضطرابات. ولأن هذه الرسالة هي النسخة الوحيدة فإنه لم يقدر لها النشر فيما بعد[56].

وبعد وظيفته الأولى هذه في مستشفي الأمراض العقلية والعصبية في مستشفي «طوب طاشـي»، عمل في وظيفة باش حكيم في مسـتشـفى مغنيسـيا العقلية، ثم بعد ذلك عمل في نفس الوظيفة في مستشفي «باكير كوي»[57]. وأجرى في باريس دراسات مرتبطة بمهنته لمدة سنة ونصف. وقد أحيل إلى التقاعد في يوليو 1960م بالغاً من العمر الخامسة والستين أثناء شغله وظيفة باش حكيم مستشفي الأمراض العقلية والعصبية في «بكير كوي باسطنبول[58]. وتوفى فخري جلال في 3يونيه عام 1975م ودفن في مقابر «قراجة احمد»[59].

([54]) Seyit Kemal Kara Ali oğlu: Resimili Motifli Türk Edebiyatı Tarihi, İnkilap Kitabevi, 5. Cilt, I. Basım, İstanbul 1986, s.675.

([55]) Mustafa Baydar: Fahri Celal Göktulğa (bütün hikayeler) Türk sanatçıları dizisi, cem yayınevi, İstanbul 1973, s. 12

([56]) Mustafa Baydar: Fahri Celal Göktulğa (bütün hikayeler) s.7.

([57]) Doç. Dr. Olcay önertoy: Cumhuriyet Dönemi Türk roman ve öyküsü, Türkiye iş bankası kültür yayınları, I . baskı, Ankara 1984, s.218.

([58]) Mustafa Baydar: a. g. e., s.7.

([59]) Ahmet Kabaklı; Türk Edebiyatı, Türk Edebiyatı Vakfı yayınları, V. Cilt, İstanbul 2006, s. 30.

وقد أوقف فخري جلال كل حياته تقريباً لخدمة هذه الوظيفة الإنسانية وهي مداواة مرضى الأمراض العقلية والعصبية وتحويلهم إلى مواطنين صالحين للمجتمع. وعندما عين باش حكيم في مستشفي «بكير كوي» للأمراض العقلية والعصبية كان معدل الوفيات في هذا المكان أربعة وثلاثين في المائة تقريباً.... وبعد الجهود المضنية التي بذلت في هذه المستشفى، توارت تماماً السلبيات الموجودة، وصارت هذه المستشفى أشهر دار شفاء في تركيا مسايرة لقواعد الصحة الحديثة[60].

- **شخصية فخري جلال الأدبية**

عاش فخري جلال الدين حياة قاسية ومتعبة للغاية. ولعل هذه الصعاب حنكته كثيراً وساعدته على فهم الحياة والإنسان جيداً. ويلخص لنا في إحدى مقالاته حكاية الحياة بشكل رمزي على هذا النحو: "... لقد مضت حياتي ببلاء عظيم ويملأها صراع نفسي. فماذا يعني الدفاع عن هجوم النمر من الأمام والضبع من الوراء والثعبان من اليمين ووحيد القرن من اليسار؟»[61].

والاسم الكامل له هو «فخري جلال الدين كوك طولغه». ولكنه استخدم في قصصه الاسم «ف. جلال الدين». وبدأ في نشر كتاباته في سنوات الحرب العالمية الأولى، وعرف نفسه للأوساط الأدبية في فترة الهدنة بمجلات «الشاعر» و«نديم»، و«الأمل»، و«الكتاب الرابع»، و«الشمس»، و«المرآة»، و«ثروة الفنون»[62].

ومن كتاب القصة الذين ينتمون إلي تيار الأدب القومي: عمر سيف الدين (1884م-1920م)، حسين رحمي گوربينار(1864م-1944م)، خالدة أديب أديوار(1884م-1964م)، يعقوب قدري قاره عثمان أوغلو(1889م-1974م)، رفيق خالد قاراي(1888م-1965م)، رشاد نوري گون تگين(1889م-1956م)، فخري جلال گوك طولغه(1895م-1975م). ويعد فخري جلال گوك طولغه جسراً بين تيار الأدب القومي

60() Mustafa Baydar: a. g. e., s. 7.
(61) Mustafa Baydar: a. g. e., s.7.
(62) Seyit Kemal Kara Ali oğlu: a. g. e. s.675

وفترة الجمهورية. وقد قوى من جاءوا بعده – وعلى رأسهم ممدوح شوكت اسندال (1883م–1952م)، وصباح الدين على(1907م–1948م) – هذا الجسر وأحكموا بناءه[63].

وقد اشتهر «فخري جلال» في الحياة الأدبية بكتابة القصص واللطائف. ونفذت مدينة اسطنبول إلى حكاياته بلهجتها السلسة وبعض أشخاصها وعاداتها ومناظرها[64]. ويعتبر «فخري جلال الدين» من كتاب القصة الذين اتبعوا مدرسة عمر سيف الدين. كما أنه سار «فخري جلال الدين» على درب حسين رحمي وأحمد راسم(1865م–1932م) في تصوير الأحياء الساحلية لاسطنبول وسكان هذه الأحياء. واختار فخري جلال الدين الحكاية طرز «موباسان»[65] التي تكتب على أساس (المدخل – العقدة – الحل)[66].

([63]) Ramazan Korkmaz ve diğerleri; yeni Türk Edebiyatı 1839- 2000, »Ay Şenur Külahlı oğlu İslam; Cumhuriyet Dönemı Türk hikayesi» 6. baskı, Ankara 2011, s.34.

([64]) Mustafa Baydar: a. g. e., s. 13.

([65]) أول من كتب القصة القصيرة في شكلها الحديث المتكامل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي. وقد كتبها قبله كثيرون، منهم «مارك توين» و«ادجار ألان بو» الأمريكيان، ولكنهم لم يهتدوا إلى ما اهتدى إليه «موباسان» من أن القصة القصيرة لا تحتاج إلى الواقائع الخطيرة والخيال الخارق، بل يكفي الكاتب أن يتأمل في الوقائع العادية والأفراد العاديين لكي يفسر الحياة ويعبّر عن خفاياها من خلال موقف أو لحظة من لحظاتها. وكانت الواقعية الحديثة هي المذهب الملائم لهذا المنهج، فسلك «موباسان» في القصة القصيرة مسلك «زولا» وأضرابه في الرواية، من حيث الاهتمام بدقائق الحياة وتفصيلاتها وتوصويرها بطريقة واقعية. وقد كانت قصص «موباسان» حدثاً جديداً في الأدب.

ولقد جاءت قصص «موباسان» مختلفة عن كل ما سبقها من قصص حتى أن الناس رفضوا أن يعترفوا بها في بادئ الأمر كقصص قصيرة، ولكن الأيام ما لبثت أن غيرت هذا الرأي فنجد أن أحد كبار النقاد يكتب بعد موت «موباسان» بأعوام قليلة فيقول: "إن القصة القصيرة هي «موباسان» و«موباسان» هو القصة القصيرة".

وهكذا سجل «موباسان» القصة القصيرة باسمه كما يسجل المخترعون اختراعاتهم فسارت من بعده على الشكل الذي رسمه لها، ولا غرابة في هذا فالشكل الذي اختاره «موباسان» للقصة لم يأت من باب المصادفة، وإنما جاء مطابقاً للأغراض التي كان يسعى إليها ولروح العصر التي يمثلها.

- عباس خضر: القصة القصيرة في مصر (منذ نشأتها حتى سنة 1930م، ط2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مارس 2002م، ص 77-78.

([66]) Ahmet Kabaklı: a. g. e., V. Cilt, s. 30

و«فخري جلال گوك طولغه» هو واحد من كتاب القصـــة في الفترة الواقعة بين المشـروطية والجمهورية. ولم يكن طبيباً محدود الأفق وهشـاً وإنما كان إنسـاناً واسـع الأفق، رحب الخيال، ومتعدد الجوانب أي متنوع الثقافات. وترجع الأحداث والمؤسـسـات الاجتماعية التي شـــاهدها إلى فترة المشـــروطية؛ ولهذا فإنه يعطي ملمحاً أو جانباً من الجوانب المتعددة لهذا العصر خاصـة. وقد تناول المرأة في قصـصـه بشكل كبير وقد ركز على هذا الموضـوع بصـورة خاصـة. حيث تناول أفراح العصـر والزواج والطلاق حتى وصـل بالتفصـيلات إلي دقائق الأمور التي تتعلق بالمرأة[67].

ومن الناحية الثقافية يتمتع «فخري جلال الدين» بثقافة دينية عميقة وقوية. فقد تناول في عدة فقرات الأولياء وعلماء الدين وتم توظيف ذلك بمهارة أدبية. وتتجلى في بعض حكاياته كقصة «خيالت» المشاعر التي تشكلت عنده في اللاشعور بتأثير الكتب الدينية التي قرأها وأسـاطير الجن والشـياطين التي سـمع عنها. كما أن معلوماته الموسـيقية عميقة جداً. ويتضح هذا من الأقسام المرتبطة بالحفلات الموسيقية التي صورها في كتاباته المختلفة[68].

ويرى «فخري جلال الدين» – الذي دخل الحياة الأدبية كاتباً للقصـة في أواخر الحرب العالمية الأولي – أن الحكاية نوع مختلف تماماً عن الرواية وأن كتابة القصـة أصـعب بكثير من كتابة الرواية. ويشرح فكرته على هذا النحو: "الحكاية لا تشبه الرواية. فكما أنه لا مجال للإفراط في الكلام في القصـــة، فإن نفوســنا تنقبض ســريعاً على هذا النحو للاختزال؛ حتى الفاصلة أحياناً تُفسد الحكاية. بالتأكيد يجب أن تكتب القصة بشكل جيد"[69].

ونشـر «فخري جلال الدين» سـبع مجموعات قصـصـية إحداهن مجموعة قصـصـية طويلة (كل اوغلان الموجود في چناق قلعة؛ 1960م)؛ هذه المجموعات القصـصـية هي ما يلي: الطلاق بالثلاثة1923م، ليلة الحناء 1927م، الده بر مصـــطفى أفندي 1943م، افور

([67])Mustafa Baydar: a. g. e, s.8.
([68])Mustafa Baydar: a. g. e, s.10-11.
([69]) Doç. Dr. Olcay önertoy: Cumhuriyet Dönemi Türk roman ve öyküsü, s .218.

زافور قهوه ســـي 1948م، الوبـاء 1953م، الريـاح 1955م، گـل اوغلان في چنـاق قلعة1960م... وقد نُشرت جميع حكايات فخري جلال عام 1973م[70].

- **المرأة عند الأديب «فخري جلال» من خلال مجموعته القصصية «الطلاق بالثلاثة»**

لقد أصـــابت حركات التغيير فيما أصـــابت المرأة التركية بمؤثراتها الغربية وأفكارها وتوجهاتها. فأخذت المرأة تميل إلى العادات والتقاليد الغربية متخلية عن القيم الإســـلامية. وظنت الطبقة المثقفة أن إصـــلاح حال المرأة منوط بتوجهها نحو الثقافة الغربية وأن الســـبب في تأخرها هو الإســـلام والعادات والتقاليد الإســـلامية الشـــرقية وحرمانها من الفعاليات الاجتماعية وقصـر دورها في الحياة على التناسـل وحفظ النوع. وقد أشـار إلي ذلك «صـلاح الدين عاصم» أحد كتاب فترة المشروطية الثانية بقوله:

إن الأتراك الذين بقوا تحت هذه الروح الإسلامية والأخلاق والسجية وأنقاض التشكيلات والتأسـيسـات أضـاعوا مكانة الأم والمرأة كأول مصـيبة تحل عليهم. وبعدما حُرمت حياة المرأة من المشـاركة والفعاليات الاجتماعية لم تتمكن المرأة من إصـلاح وضـعها ثانية... لأن مكانة الأم والمرأة خرجت عن ماهيتها، وبعُدت عن الاشـــتراك والتلاحم بالتاريخ والحياة. وتبوأت منزلة أنثى فقط. وعلى هذا النحو فإن الدين الإســلامي اخرج المرأة التركية من وظيفتها ومن المجتمع والحضـارة، وربطها بنوعها والتناسـل يعني بالأنوثة والزوجية. ولهذا فإن إصـــلاحها يمكن أن يتم بتأمين روحها وســجيتها وعقيدتها... ومن هذه النقطة فإنه يجب إعادة تأسـيس موقع المرأة والأم على هذا الأساس وهو توفيق وتأليف الدين الإسلامي مع الجوانب التاريخية والوجدانية... وليكن الأسـاس في هذا الموضـوع ليس الدين الإسـلامي ولا العادات ولا التقاليد القومية الحالية وإنما يجب أن يكون ذلك من واقع الاحتياجات الطبيعية للحياة وضـــرورات الحياة المدنية.[71]

وإننا مضـطرون ألا نأخذ بالفكر والاجتهاد والأسـس الدينية في هذه المسـألة حتى ولو قدر ذرة باسم حياتنا وقوميتنا وعرقنا... ولكن الشـيء الذي سـوف نقوم به هو تأسـيس أمومة ومكانة للزوجة تتواءم واحتياجات وفكر المدنية القومية لهذا الوقت وسبل تاريخنا، أي تأسيس

---

[70]() Ahmet Kabaklı: a. g. e, V. Cilt, s. 30

(71) صلاح الدين عاصم: مرجع سابق، ص 25- 26.

مكانة وأمومة طبيعية للمرأة... وحينما نقوم بهذا فإننا مضطرون للتفكير ليس في الدين الإسلامي وإنما في الخصائص والتأثيرات التي تخلقها قوميتنا وعرقنا وتاريخنا وروحنا وسجيتنا الدينية ثم احتياجات حياتنا والوظائف والفعاليات التي توجبها الظروف العامة.[72]

ويتناول "فخري جلال الدين" في حكاياته – التي اختار أحداثها من الفترة الواقعة بين سنوات المشروطية الثانية وسنوات الهدنة – الحياة التي عاشها الأتراك في أحياء اسطنبول الموجودة على ساحل البسفور... والموضوعات التي اهتم بها هي علاقات النساء والرجال وليالي الحناء والأفراح والمشاكل والأوضاع المتغيرة التي تعاش في هذا الإطار والحياة والتقاليد الاجتماعية والتغير الموجود في علاقات الناس. وبهذا الاتجاه فهو استمرار لـ «حسين رحمي» و«أحمد راسم».[73]

ويفسح «فخري جلال» مكاناً واسعاً للموضوعات الاجتماعية. فقسم من حكاياته يحمل ماهية النقد الاجتماعي، والقسم الآخر كُتب للتبصرة والإرشاد. ويلفت الانتباه موضوعات مثل: فساد الأخلاق والاعتقادات الباطلة والفقر وعلاقات الشعب والدولة في فترة المشروطية وإنكار الذات كموضوعات اجتماعية[74].

وبدأ «فخري جلال الدين» في نشر أولي قصصه في أواخر أعوام الحرب العالمية الأولي؛ ونال أهمية كبيرة بكتابه الأول المطبوع عام 1923م باسم «الطلاق بالثلاثة». وقد تجسدت الأربعة عشر قصة التي تضمنتها «الطلاق بالثلاثة» في إطار الخصائص العامة للقصة التركية. وعلى هذا بنيت أحداث هذه المجموعة القصصية على أساس (المدخل – والحبكة – والخاتمة)، وهي في طرز الحكاية التقليدية التي تحير او تربك القارئ. ويلتزم «فخري جلال» في بعض حكاياته «السكير: Akşamcı» و«الأريكة: koltuk» خط حسين رحمي وأحمد راسم حيث تناول فيهما مظاهر الحياة المحلية المختلفة في أحياء اسطنبول الموجودة على ضفاف البوسفور. وفي بعضها الآخر «جرم مشهود» يسير على خُطى

(72) صلاح الدين عاصم: المرجع السابق، ص 26- 27.
(73) prof. Dr.İsmail Çetişli ve Diğerleri: a. g. e., s. 229
(74) Doç. Dr. Olcay önertoy: a. g. e., s. 218.

«عمر سـيف الدين» من ناحية الموضـوع والبناء[75]. وقد حكى هذا الأديب القاص الحياة والعادات الخاصة بهذا العصر والإشاعات والمصاحبات والتسلية والآلام وأعمال السوق[76].

وقد ركز «فخري جلال» في مجموعته القصصية «الطلاق بالثلاثة» على العلاقة بين الرجال والنساء في ظل المتغيرات التي طرأت على المجتمع التركي الإسلامي الشرقي. حيث يعكس لنا أثر هذا التغريب على المرأة عماد المجتمع وكيف أن المرأة فهمت الحرية بشـكل خاطئ بعد إعلان المشـروطية الثانية على اعتبار أنه إعلان للحرية. وكيف أن التخلي عن العادات والتقاليد التركية الأصـلية قد أدي بالمرأة التركية إلى أن تقع في براثن الأشـرار وأن تقلد المرأة الأوربية في كل شـيء مما أدى في النهاية إلى تردي وضـع وصـورة المرأة التركية. وهذا ما دفع بعض الكتاب الأتراك إلى أن يتناول المرأة في كتب مستقلة خاصـة بها، وأيضـاً دفع بعض الأدباء إلى أن يتناولوا المرأة وقضـاياها وصـورتها في أعمالهم الأدبية. وعلى هذا سـوف نتناول بالعرض المرأة في المجموعة القصـصـية «الطلاق بالثلاثة» للكاتب «فخري جلال» ونتبين من خلال هذا العرض كيف صور المرأة في فترة المشروطية الثانية.

المرأة والزواج:

لقد شـرع الله لنا الزواج لغاية سـامية وهي حفظ النوع وإعمار الكون ولكي تكون المرأة سكناً وراحةً لزوجها، ونواة لأسرة يُبني عليها المجتمع، وكل ذلك في إطار شرعي قويم يحفظ للإنسـان كرامته وإنسـانيته ويحافظ على أخلاقياته. وعلى هذا، وضـع لنا ديننا الحنيف قواعد وضـوابطُ يقام عليها هذا الزواج. وعرف لنا علماء الأمة ومفكروها الأسـس التي يقام عليها الزواج. وظل الزواج يقام على هذه الأسـس القويمة وأنشـأ لنا أسـراً ومجتمعات قوية طوال عهود الأمة المزدهرة. ولكن بعدما ضـعفت الأمة في العصـر الحديث، وبعدما حدثت حركات التغريب في العالم الإسلامي، وبعدما عادت البعثات الأجنبية التي درست في أوروبا واحتكت بالمجتمع الغربي وعادت إلى أوطانها حاملة معها كل ألوان التغريب، لم تعجبهم هذه الأصول التي يقام عليها الزواج منذ القدم ونظروا إليها على أنها إهدار لحقوق المرأة وظلم لها.

---

[75]() Prof. Dr. İsmail Çetişli ve diğerler: a. g. e., s. 229

[76]() Ahmet Kabaklı: Türk Edebiyatı, V. Cilt, s. 30

وفي هذا الصـدد يقول «صـلاح الدين عاصـم» أحد كتاب فترة المشـروطية الثانية: إن النكاح والطلاق اللذين يجريان في المجتمع التركي وفقا للدين والشـرع ليس سـوي تجارة رقيق تكون فيها المرأة كجارية أو ملك يمين... ولم يعد للمرأة أي حق قط داخل العائلة التي تعيش فيها؛ ولذلك فرت هاربة بعيداً عن أولادها وعن عائلتها التي كانت ثمرة سـعي وعمل عشـرين أو ثلاثين سـنة من أجل اللهو... وهذا نتيجة أن المرأة لم تصـبح في المجتمع التركي سـوى أنها تُنكح وتؤسر للأحكام القانونية الخاصة بالبيع والشراء: فبعدما تجري معاملة البيع والشراء على أي مال أو متاع أو أي شـــيء، فكما أن البائع يســقط حقه فيما باع، فإن المرأة بعدما تبيع حياتها وبدنها ولحمها وعظمها فإنها تفقد كل أنواع الاختيار والحقوق[77].

وواضـــح من هذا الكلام أن «صـــلاح الدين عاصـــم» إنما يريد أن يقوم الزواج على العادات والتقاليد التي طرأت على المجتمع التركي من الغرب ولا يقام على الأســـاس الديني ومبادئه وأن يكون للمرأة نفس حقوق الرجل في هذا الزواج حيث يقول: لو أن الدين– على الأقل – في هذه المسـألة فرض المسـاواة بين الرجل والمرأة وترك الحرية لكلاهما في الزواج، لكان قد أســس كياناً مشــتركاً في العائلة. إلا أن الدين جعل المرأة أســيرة وتابعة للرجل[78]. وربما المسـاواة التي يريدها الرجل هنا هي المسـاواة في كل شـيء مثل الميراث والمسـاواة في العمل وأيضا حقها في الطلاق وفي كافة المعاملات التي ربما لا تنسجم والشريعة الإسلامية.

ولكن ما يعنينا في هذه السـطور ليس مفهوم الزواج وإنما ما يحدث في هذا الزواج من مراسم واحتفالات تعكس لنا ملمحاً من ملامح المجتمع التركي في هذه الآونة وذلك من خلال المجموعة القصصية «الطلاق بالثلاثة» للأديب «فخري جلال». فقد اهتم هذا الأديب بالمرأة كثيراً وبالموضـــوعات المرتبطة بها ومنها الزواج حيث صـــور لنا في قصـــته «الأريكة : Koltuk» حفل الزفاف التركي وما كان يتم فيه وفقاً للأعراف والعادات التركية في هذه الفترة.

77() صلاح الدين عاصم: مرجع سابق، ص 109 – 110.
(78) المر جع السابق، ص114 .

ففي هذه القصـــة التي تحمل عنوان «الأريكة : Koltuk» يتناول الأديب «فخري جلال» موضـوع الزواج وما يحدث فيه من اسـتقبال للضـيوف وما يُقدم فيه من هدايا، كما تعرض بالوصـف لغرفة النوم وأيضـاً أفرد وصـفاً للعروس، وتعارف الضـيوف على بعضـهم البعض. وفي هذه القصـــة يتعرض «فخري جلال» لقضـــية من قضـــايا المرأة في فترة المشـــروطية الثانية أي قبل إعلان الجمهورية وهي قضـــية الزواج وما كان يحدث في هذا الزواج من مراسـم والعادات والتقاليد المتبعة في هذا العرس. واسـتهل هذه القصـة باسـتقبال الضـيوف ومراسم الاستقبال من حارس على الباب يخبر بمجيء الضـيوف إلى السـيدة التي تقوم بإجلاس الناس على الكرسي وترحب بهم؛ وهذا يتضح من هذا القول لـ«فخري جلال»:

كان الحارس الذي يرتدي ملابس العيد يخبر الداخل بالمدعوين القادمين وذلك بطرق الباب بعصاه الكبيرة.

وكان المدعوون والمتفرجون ... جميعهم مختلطون في حفل شـــرقي راقص منقطع النظير ...

وعند صـحن دَرَج السلم لردهة الطابق الثاني، كانت سيدة بدينة وذات قامة طويلة كي تضـيف المدعوين ... تقول بصـوت خشـن وجهور كما لو كان صـوت رجل: أهلاً وسـهلاً يا روحي، شرفتينا يا جميلتي[79].

ثم ينتقل الأديب بالحديث إلى وصـف الهدايا ومكان عرضـها وبعدها عرج بالقول إلى وصف حجرة النوم وما بها من أساس. كما أن «فخري جلال» تناول بالوصف العروسة وما تم لها من زينة لإبراز محاسنها حيث يصف لنا ذلك بقوله:

([79]) Bayramlıklarını giymiş bekçi, gelenleri, kocaman sopasıyla, kapının taşlarına vurarak, içeriye haber veriyordu.
Dâvletliler, seyirciler.. Şarkın bu yegâne balosunda, hep karışık idiler.
İkinci kat sofasının sahanlığında; şişman, uzun boylu, ... bir hanım efendi, bilhassa dâvetlileri ağırlamak için, kalın, çatlak, tıpkı bir erkek sesiyle:
- Safa geldiniz elmasım, ihya buyurdunuz cicim, ... diyordu.
Mustafa Baydar: Fahri Celal (Bütün Hikayeler), «Talak-ı Selase», s. 56.

هرول الجميع حالاً إلى الغرفة التي تجلس فيها العروســة . والعروســة... فتاة ســمراء ولكنها متناسقة جداً وحمرت الخدين بحمرة ممتدة حتى جفون العين حتى لا يبدو سمارها ... وتجلس أمام مرآة على كرسي لونه بني، وترتدي لباس أبيض، وموضوع على رأسها، كما هو معتاد، تاج مشهور متوارث من رشيدة هانم... ويمر عُقدٌ من حاشية شعرها الأسود، وتسلم على ذويها أو معارفها بضحكة خفيفة سارة على شفتيها ... [80].

كما أن فخري جلال أفرد للحديث حول تعارف الضـيوف على بعضـهم وما كان يدور بينهم من همز ولمز حول العروســة والعرس بشـكل عام. ولعل هذا الوضــع كان لا يختلف كثيراً عما كان يحدث في المجتمعات الشرقية من تعليق على العروسة والعريس والعرس وما كان يحدث في هذا الفرح من مظاهر ســواء بالســلب أو بالإيجاب وقد صــور لنا «فخري جلال» هذا الأمر في هذا المشهد من أحد حفلات الزواج:

وفي هذه الأثناء تدخل السيدات أصحاب القامات الطويلة والصدور العارية والجميلات في مشهد تملأه الجلبة، وكان الذين يتعرفون على بعضهم يقبلون بعضهم بالقبلات المتبادلة، وكانت ســيدتان أو ثلاثة يبحثون عن أماكن فارغة، وفي أيديهن مهفة مغطاة بالريش، لكي ينتعشــن بالهواء ولكي يســتطعن القيل والقال براحة تامة كن يبتعدن قائلين: «آه يا أختي هنا أيضاً ممتلئ».

وكانت المتفرجات اللاتي لم يستطعن التجرد من جلابيبهن أي ملاحفهن ينتقدن أيضاً بكل راحة:

– آ... شفتي أليس كذلك؟ كان الجفن الأيسر للعروسة والله بذيء...

([80]) Hemen herkes gelinin oturduğu odaya koşuyordu. Gelin... Esmer fakat bol düzgünlü, hattâ belli olmasın diye göz kapaklarına bile sürülmüş allıklı, bir hanım kız... Ortada aynanın önünde, penbe bir koltuğun içinde, beyazlar giymiş, başında, her zaman olduğu gibi, meşhur Reşide hanımdan kaldırılmış tacı; siyah saçlarının kenarından, gerdanını geçerek ..., dudaklarında biraz da memnun bir gülüş, tanıdıklarına selâm veriyor.
Mustafa Baydar: Fahri Celal (Bütün Hikayeler), «Talak-ı Selase», s. 56-57.

– وكانت واحدة أخرى وهي سـيدة بدينة قصـيرة القامة تلبس حذاء له كعب في طول الشبر تضحك بقهقهات مثيرة قائلة:

يا، لقد حولوا الفتاة إلى باذنجانة متناسقة يغطيها اللبن الرائب.

– وتضـيف أيضـاً سـيدة ذات حذاء له كعب ملتوي قائلة: لقد جروا لها الكحلة ذات الذنب الطويل، وتحولت عيناها إلى نافذة مخزن فحم يا أختاه ...

– وكان هناك أيضاً نقد للأثاث المنزلي: آه والله مستعمل يا... [81].

ويعرض لنا فخري جلال من مراسـم هذا العرس مشـهداً يمثل عادة تركية تجرى في المجتمع التركي داخل أي عرس هذه العادة تتمثل في لف نطاق على خصـر الفتاة التي ستتزوج من طرف والدها حينما يبدأ العرس مع تمنيه لها بالتوفيق في مسئولية الزواج. وكان هذا الوشاح يلفه والد العروسة على خصر ابنته العروسة وسط جموع المدعوين حيث يتجمع المدعوون حوله أثناء ذلك ويتبين لنا ذلك من خلال قول «فخري جلال» فيما يلي:

– نادت سيدة نحيفة للغاية وسمراء جداً وهي والدة العروسة ابنتها بشكل رسمي وقالت لها :

– جميلتي، تعالي يا ابنتي، والدك سوف يلف على خصرك النطاق ...

تدفقت مئات من النساء من الغرف إلى الردهة ، ووقع الضجيج والصخب على درجات السلم.

([81]) Arada, uzun boylu, göğusleri açık, güzel hanımlar, telâşlı tavırlarla içeri giriyorlar, tanışanlar, iki taraflı buselerle öpüşüyorlar, ellerinde tüylü bir yelpaze, serinlemek ve rahatça dedi kodu yapabilmek için, tenha yerler arayan iki üç hanım «Ah hemşire burası da dolu... » diyerek uzaklaşıyorlardı.

Çarşaflarını çıklarmayan seyirciler, hattâ açıkça tenkit ediyorlardi:

- A.. Gördün değil mi? Gelinin vallahi sol gözünün kapağı düşüktü...

Başka birisi, kısa boylu, inadına bir karış topuklu şişman bir hanım;

- Ayol, kızı düzgünle yoğurtlu patlıcana çevirmişler... diye sinirli kahkahalarla gülüyordu.

Eğri ökçeli bir hanım da ilâve etti:

Uzun kuyruklu sürme çekmişler, gözleri kömürlük penceresine dönmüş a kardeş...

Möblelerin tenkidi de vardı:

- A vallahi kullanılmış ayol...

Mustafa Baydar: Fahri Celal (Bütün hikayeler), «talak-ı selase», s. 5 7.

وقبَّل موظف ذو لحية مدورة ومرتدي جاكت رسـمي وذو كرش ابنته أمام أعين النسـاء المتلهفة في الردهة بوجهه الشـاحب وعيناه المملوءتان بالدمع: وقام بربط وشـاح من القماش الحرير البنفسجي بيديه على خصر العروسة.

انسحب السيد من وسط المدعوين، واختلط الوسط ببعضه ثانية [82].

وبعدما يقوم والد العروســـة بهذا الإجراء التقليدي الذي يتم في كل الأفراح وهو ربط النطاق أو الوشـاح بخصـر العروس فإنه كان يغادر العرس وتستكمل مراسم الفرح. وفي هذا الإطار نجد أن «فخري جلال» وصف لنا مظاهر الجو العام للعرس من وسائل الفرح كالدف وغيره، وجلوس العروس بيت أبيها ثم مجيء العريس وكيف أن الضـيوف والمدعوين يتابعون مجيئه من النافذة، كما أنه يصـف لنا أيضـاً تناول المدعوون شـراب الراقي. ويعرض «فخري جلال» مظاهر الجو هذه في قوله التالي:

وفجأة قالوا: يأتي العريس ... ويهرول الجميع والعروسة أيضاً معهم سوياً إلى النافذة:

كان العريس يأتي من زاوية من الشـارع بخطىً بطيئة وبجواره مدني في سـن الشـباب: وغطت كل الوجوه نشوة غريبة.

وكان أخو العروسـة يسـتقبل المدعوين ويأخذهم إلى الغرفة التي يجلس فيها العازفون. وتجمع ربما عشـرون شـخصـاً حول قنان الراقي وأنواع المزة المتنوعة الموجودة على منضـدة

([82]) Kupkuru, pek esmer bir hanım, gelinin annesi, resmî bir tavırla kızını çağırdı:

- Nemikam, gel kızım, beybaban kuşak bağlayacak. Yüzlerce kadın, odalardan sofaya döküldü, merdivenlerde gürültüler, kavgalar oldu.

Çenber sakallı, redingot giymiş, iri karınlı bir kalem efendisi, sararmış yüzü, dolu gözleriyle, sofada, meraklı kadın gözleri önünde kızını öptü: Şaşkın elleriyle ipekli, mor kumaşı gelinin beline düğümledi.

Efendi çekildi ve ortalık tekrar karıştı.

- Mustafa Baydar: a. g. e., s. 58.

واسعة في وسط المكان، وكانوا يشربون ويشربون مستفيدين من هذه الفرصة. وغردت الريش في الأوتار والكمان وجلجلت الدفوف[83].

ويعرض لنا «فخري جلال» نهاية أو ختام العرس وما يحدث فيه حسب عادات وتقاليد الترك في هذه الفترة من حياة الأتراك وكيف تكون زفة العروسة إلى العريس. والكاتب حينما ينقل لنا هذه المشاهد إنما ينقل صورة من واقع الثقافة التركية وهذا التقارب الشديد بين الذي يحدث في أفراح تركيا والأفراح في بلداننا، وهذا فيه أكيد دلالة على أن الأتراك إنما يشتركون في الجذور الثقافية مع شعوب الشرق الإسلامي. وفي وصف زفة العروسة إلى العريس ينقل لنا «فخري جلال» ما يلي:

قامت السيدة ذات القامة الطويلة والبدينة والتي تربط منديل حرير في رقبتها والتي أيضاً تستقبل الضيوف في الردهة الموجودة في الطابق الأعلى بمسك الرجل العسكري من يده وتعليقها بذراع العروسة. وساروا صوب السلم؛ وفي كل خطواتهم كانت سيدة تفتح للعروسين الطريق وسط هذا الحشد، وكان يُسمع الشجار الحاد للنساء اللاتي بقين في الخلف ولم يستطعن رؤية مشهد العروسين. وبينما يصعد العروسان السلالم ببطيء وعيناي كلاهما في الأرض، نادت سيدة عجوز وقالت:

انتبهوا أيها الأصدقاء!. من يحب ربه فليقل: ما شاء الله!.

وبينما كانت الهوانم الشابات يغطين رؤوسهن بمناديل الحرير أثناء مرور العريس كن أيضاً يحاولن تغطية ما هو مكشوف من صدورهن وظاهر من فساتينهن بأيدهن الأخرى،

([83]) Birden damat geliyor, dediler... Herkes, gelin de beraber, pencereye koşuştular:

Sokağın köşesinden güvey, yanında genç bir sivil, ağır adımlarla geliyordu: Bütün çehrelerde garip bir heyecan dolaştı.

Gelenleri kayınbirader karşıladı. Taşlıktaki, çalgıcıların oturduğu odaya aldılar. Orada, geniş bir massanın üstündeki rakı şişelerinin, bin türlü mezelerin etrafına belki yirmi kişi toplanmış fırsattan istifade, içiyorlar, içiyorlardı.

Mızraplar tellerde, kemanlar kirişlerde öttü, tefler çıngırdadı:

- Mustafa Baydar: a. g. e., s. 58 – 59.

وكان قسم أيضاً والذي لم يتحمل الصمت يقول: «آه ... والله العريس أجمل». وحينما يقتربون من الدرجات الأخيرة للسلم، قامت السيدة البدينة التي كانت تستقبل الناس وتجلسهم بالغمز بعينها لصديقتها القديمة وغنت قائلة: خلطت السمن بالعسل !... [84].

وبعد عرض هذه النماذج التي تصور لنا مراسم العرس منذ استقبال المدعوين وحتى زفة العروس والعروسة وإنهاء الفرح، يتبين لنا كيف أن الأتراك يشتركون مع شعوب الشرق في مثل هذه الاحتفالات وأن التغريب لم يغير هذه المراسم وإنما بدل في نظرة الأتراك إلى طبيعة العلاقة بين الزوج والزوجة. إذ يرى أصحاب التغريب أن المرأة بعد الزواج تكون كالأمة لا حرية لها ولا اختيار . وقد عبر عن هذا أحد كتاب فترة الأدب القومي «صلاح الدين عاصم» وهو من أصحاب تيار التغريب حيث قال في هذا الصدد:

إن الزواج والطلاق اللذان يحدثان في مجتمعنا وفقاً للدين والشرع ليس سوى تجارة رقيق تتم لإعداد جارية أو ملك يمين. وهذه هي ماهية العائلة التي يقيمها ديننا وحكومتنا... ومع أن الرجل بعد الزواج تكون بيده كل أنواع الحرية فإن المرأة تكون محرومة من هذا

([84]) Yukarıdaki sofada mısafir karşılayan uzun boylu, şişman, hotozlu, boynu ipek medilli hanım askerin elinden tuttu, gelinin koluna geçirdi. Merdivene doğru yürüdüler; her adımlarında bir kadın yığını aralanıyor, arkada kalmış görememiş hanımların hırçın hırçın kavgaları işitiliyordu. Merdivenleri ağır ağır, ikisinin de gözleri yerde çıkarlarken, ihtiyar bir kadın bağırdı:

- Amanın a dostlar!. Allahını seven maşaallah desin!.

Taze hanımlar, ipekli mendilleriyle güveyin geçtiği sırada başlarını örterken, öteki elleriyle de dekolte güğüslerini kapamaya çalışıyorlar, susmaya tahammülü kalmamış bir kısım da «A... vallahi güvey daha güzel» diyorlardı. Koltuğa veren şişman hanımefendi arkalarında, merdivenin son basmaklarına yaklaşırlarken, eski bir muhibbesine çapkınca göz kırparak, mırıldandı:

- Yağı bala kattım!..

- Mustafa Baydar: a. g. e., s.59-60.

تماماً. وفي هذه المسألة لا تكون المرأة والرجل بمنزلة بائع ومشتري وإنما يكونان بمنزلة المال وصاحبه(85).

ويبدو من هذا الكلام أن أصـــحاب النزعة التغريبية أو من تلقوا تعليمهم في الغرب يريدون التمرد على طبيعة العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة، فيريدونها كما شـــاهدوها في أوروبا حيث للمرأة الحرية التامة داخل البيت وخارجه دون ضـابط أو رابط على عكس ما هو موجود في مجتمعاتنا الشـرقية ومنها المجتمع التركي الذي يخضـع لضـوابط ديننا وشـرعنا وعاداتنا وتقاليدنا التي حددت لنا كيف تكون العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة منذ بدء التعارف والخطبة حتى إتمام الزواج.

*** المـرأة والطـلاق:**

يرى «جلال نوري» أن هناك أمران يمثلان عائقاً في تماســك العائلة في تركيا. أولهما الطلاق، وثانيهما تعدد الزوجات(86). والزواج هو عقد اتفاق بين الرجل والمرأة على العيش ســـوياً وتربية الأولاد وتشـــكيل عائلة. وبناء عليه، فبعدما يعقد الرجل والمرأة عقد الزواج ويعيشان مع بعضـهما البعض فترة ويرزقان بالأولاد، فإن ترك المرأة وطلاقها بلا سبب وبغير حق يعد خيانة كبيرة وظلماً جائراً. وقد تُركت الكثير من النسـاء من طرف أزواجهن على هذا النحو وسقطن في الأضرار والغواية وانحرفن في المسالك السيئة(87).

ولو كان للطلاق أضـرار فإن لمنعه أضـرار أيضـاً. وقلنا أن الزواج عقد واتفاق، نعم، اتفاق عمر وشـــراكة حياة. ولكن إذا لم تتوافق طبائع الزوج والزوجة وإذا لم يتراضـــيان مع بعضـهما البعض وإذا لم يستطيعان التعايش مع بعضـهما، ففي هذه الحالة ماذا يفعلان؟ هل الصـبر؟، يمكن أن يوصـى بالتحمل والصـبر عدة أيام أو عدة شـهور أو عدة سـنوات ولكن الصـبر على طول العمر يكون أمراً صـعباً. وفي هذه الحالة، يكون العمر الذي يعيشـه الزوج والزوجة غير المتحابين مع بعضـــهما البعض أصـــعب من عذاب جهنم. وعلى هذا النحو

(85) صلاح الدين عاصم: مرجع سابق، ص 109 – 111 .
(86) جلال نوري: تورك انقلابي، ص 96.
(87) شمس الدين سامي : قادينلر، ص 79- 80.

فليس هناك مناص سوى الطلاق للخلاص من هذا العذاب. وبناءً عليه فلو أن طلاق الزوجة بلا سبب خيانة عظيمة في حق النساء والأولاد، فإن منع الطلاق بتاتاً فيه ضرر كبير بحق النساء والرجال، ويكون سبباً لسوء تربية الأولاد(88).

وقد تناول «فخري جلال» هذه القضية في كتاباته وقد خصها بمجموعة قصصية تحمل اسم «الطلاق بالثلاثة» حيث عرض لهذه الظاهرة التي أصبحت منتشرة في المجتمع التركي والتداعيات التي تؤدي إلى هذا الطلاق. وقد سمَّى فخري جلال إحدى قصص هذه المجموعة بنفس الاسم الرئيسي للمجموعة «الطلاق بالثلاثة». والقصة تدور حول المدعية بالحق المدني «والدة هانم» والمدعى عليه زوجها والمحامي «توفيق بك». والقصة توضح أسباب طلاق «والدة هانم». وأن السبب الرئيسي وراء ذلك هو الخيانة الزوجية. ويشرح الزوج للمحامي قائلاً له أنه لم يقصر في حقها في أي شيء وأنه يوفر لها كل متطلبات الحياة. ولكن السبب الأول وراء هذا الطلاق هو قيامها بعلاقة مشبوهة مع ابن الجيران. ويدور الحديث بين محامي «والدة هانم» والمدعى عليه زوجها على هذا النحو:

– قال المحامي: لقد أحسنت القول، أليس كذلك؟ .

– لقد أحسنت الحديث، ولكن والله العظيم كنت جائراً... بالله لو أشرح لك الأمر فإنك ستبكي. لا يوجد شيء لم أصنعه لهذه المرأة؟، لقد تحملت كل شيء؛ كنت لا أكتسي وأكسوها هي؛ ... ولو أشتري بندق من منطقة «الجامع الجديد»، أحضر نصفهم وأطعمها إياهم... وصنعنا لها جلباب بستين ليرة؛ ... وبعد ذلك قالت ... وقالت ... وقالت. ها هو أخوك قال هذا، وأمك فعلت هذا، أنا سوف أصاب بالسل في ريعان شبابي... هل تؤخذ زوجة على هذه الصورة؟، بالتأكيد يكون فتنة وفجور(89).

(88) المرجع السابق، ص 80-81.

(89) Avükat:
- İyi söyledim, değil mi? Dedi.

قدم الكاتب في هذه الجزئية وصفاً لمساوئ المرأة على لسان زوجها ورغم ذلك فإن زوجها تحمل ذلك وأمسك بها ولم يفرط فيها ولم يكن سبباً للطلاق. وهذه لفتة فنية من الأديب يمهد بها لقضيته الأساسية وهي الطلاق. لكن هذا التمهيد لم يكن بعيداً ولا منفصلاً عن موضوعه، وإنما وظفه في أن الطلاق لا يبنى على ما عرضه من مساوئ في المرأة بعيدة عن العرض والشرف. علاوة على ذلك، نجد أن الأديب في عرضه لم يكن هو في وضع الراوي وإنما أقام حواراً بين الزوج والمحامي عن الزوجة وجعل الزوج هو الذي يروي حتى يكسب الكلام مصداقية أكثر وحتى يكسب الزوج تعاطف القارئ.

ولكن الكاتب في معرض قصته يبين لنا أن سبب الطلاق الذي وقع هو ناجم عن إيذاء الزوج في عرضه وشرفه وهذا ما لا يتحمله الزوج ولذا قرر الخلاص منها بتطليقها وإرسالها إلى بيت أهلها وإرسال ورقة الطلاق لها وفي هذا الإطار يقول «فخري جلال» ما يلي على لسان الزوج وهو يحكي للمحامي الذي هو محامي زوجته:

– اسمع بالله عليك،... لأوضح لك ما جرى: في ذات يوم يا سيدي، لا أنساه أبداً، جئت يوم أربعاء مبكراً، توضأت الزوجة وارتدت غطاء الرأس قائلة سأقرأ سورة «يس». وجلست أمام النافذة. وأنا أيضاً نزلت إلى المطبخ، وقلت : لأصنع مزّة بيدي، وفي هذه الأثناء استيقظ الابن في أعلى، وبدأ يبكي. فقلت لأنظر حال الطفل، وما أبصرته لا يبصره أي شخص، الله وحده شاهد على ذلك. صعدت إلى أعلى، .. وانشغلت بالطفل، وقلت لأرى من فتحة الباب هل قراءتها لسورة «يس» لم تنتهي بعد؟. وعندئذ ماذا ينبغي أن أشاهد؟، لو كنت أكذب فلتعمى عيناي، وأعدم أمي وأخي وأولادي، المصحف في يدها وتقيم علاقة مشبوهة من نافذة إلى نافذة مع ابن الجيران طالب الطب. فلو أنك مكاني ماذا ستصنع؟،

- İyi sölemesine söyledin ama, vallahil azim hak sızdın. ... E billâi anlatsam ağlarsın. Ben bu kadına neler yapmadım? Her şeye tahammül ettim; kendim giymedim giydirdim? ... Yenicamide fındık ... Alsam yarısını getiririm, yedirilim. ... Sonra efendiceğizime söyleyim, dedi. Dedi ... Dedi işte kardaşin böyle söyledi, annen şöyle yaptı, bu genç yaşımda verem olacağım, ... Böyle.. Böyle bu kadar da bodur karı alınır mı? Mutlaka fitne fücur olur.
- Mustafa Baydar: a. g. e., s. 20.

سـتقطع رقبتها بمنشـار ثلم، أليس كذلك؟، فها هي لا تخاف من الله، لا تخاف من الرسـول، أنتِ تفعلي هذا الشيء المكروه، على الأقل افعليه وأنا غير موجود...

قال المحامي: ماذا عملت معها؟

– أبداً... من منطلق الشـــرف، قمت في الحال بطردها من المنزل في هذا المســـاء؛ وأرســـلتها إلى بيت والدها، ارتمت على أقدامي، وقالت: أنا قمت بهذا، وأنت لا تفعل هذا، وتوسلت إليَّ وترجتني، ولكن أنا لم أصغ إليها. وعلى الفور أرسلتُ لها ورقتها[90].

ومن خلال هذا الشـــاهد يبين لنا «فخري جلال» أن الباعث على طلاق الزوجة هي تلك العلاقة الآثمة التي تقيمها الزوجة مع ابن الجيران من خلال نافذة المنزل. ونود أن نشير هنا إلى أن المجتمع التركي في هذه الفترة أصـــيب بمرض خطير دب في أوصـــاله وهو مطاردة النســاء في كل مكان من المجتمع التركي. وقد أشــار إلى ذلك أحد كتاب هذه الفترة وهو «صـــلاح الدين عاصـــم» من دعاة التغريب حيث انتقد المجتمع التركي في هذه النقطة قائلاً:

إن ترقب المرأة ومطاردتها هو أمر لا إرادي وســـابقاً لرذيلة خطف الفتيات وحملهن والإساءة إلى النساء. وهذا الأمر هو واحد من الأمراض التي أصيب بها الشباب التركي وهو أيضـاً واحد من السـقطات الاجتماعية. ولهذا فإن كل شـاب عندنا مشـغول بترصـد ومراقبة المرأة في كل مكان: في الشـــارع وفي الأســـواق، في الطرقات وفي الجمعيات، عند كل

(90) Dinle Allah aşkına, ... olanı biteni anlatayım: Bir gün efendim, hiç unutmam, bir Perşembe günü erken geldim, ben Yâsin-i şerif okuyacağım diye abdest aldı, örtüsünü örttü. Pencerenin önüne oturdu. Ben de mutabağa indim, elimle bir meze yapayım, dedim, o sırada yukarıdan oğlan uyanmış, ağlamaya başladı. Allahdan başka kimse bakmaz bir bakayım dedim. Çıktım yukarı, ... onunla uğraşıyorum, şöyle kapının aralığından, bunun okuması daha bitmedi mi diye bir bakayım, dedim. Bir de ne göreyim? Gözüm kör olsun, anamın, kardeşimin, evlâdımın ölüsünü öpeyim yalan söylüyorsam. Mushaf elinde, pencereden pencereye komşunun tıbbiyeli oğluyla aşna fişne yapmıyor mu? ... Sen benim yerimde olsan ne yaparsın? Kör testere ile boynunu kesersin değil mi? Behey Allahdan korkmaz, peygamberden havf etmez, bu haltı edeceksin bâri ben yokken yap...
Avukat:
- Ne muamele ettin? Dedi.
- Hiç... Namuskârane, hemen o akşam defledim; babasının evine yolladım. Ayaklarıma kapandı, ben ettim, sen etme dedi, yalvardı, yakardı, dinlemedim. Hemen boş kâğıdını gönderdim.
- Mustafa Baydar: a. g. e., s. 21.

الطوائف المختلفة التي تمنع هذه الفرصة، والأوساط الاجتماعية، وحتى في الجوامع، أي في كل وسط ومحيط تلتقي فيه المرأة والرجل وفقاً لضرورات الحياة[91].

وقد انتشر أمر ترصد ومراقبة النساء داخل المجتمع التركي حتى صار سُمّاً قاتلاً ... وكما أن هذا المرض ولد ظاهرة خطف الفتيات ومطاردة النساء في القرى والبلدات فإنه أزعج النساء في الطبقات العليا في المدن وحتى في العاصمة[92]. وبهذا يلاحظ الانقلاب الخطير الذي أحدثه التغريب في عادات وتقاليد المجتمع التركي والمزاج العام بين الناس. وقد أشار «جلال نوري» إلى خطورة مثل هذه التقلبات في المجتمع في كتابه «الانقلاب التركي» حيث يقول:

لا يقارن الانقلاب الاجتماعي بالانقلاب السياسي؛ فأساسات المجتمع تهتز. والانقلابات السياسية لا تعتبر شيئاً يذكر أمام الانقلابات الاجتماعية[93]. هذه الانقلابات الاجتماعية تؤدي إلى نتائج وخيمة على المجتمع، وهذه النتائج أيضاً قد يكون لها انعكاساً على الأدب الذي هو مرآة المجتمع.

وفي مجمل القول فإن من الخلل الذي أصاب المجتمع هو تفشي ظاهرة الطلاق حيث أساءت النساء فهم الحرية وخلعن رداء القيم الشرقية ولبسن مظاهر التغريب فأصبحن لا يشبهن جداتهن مطلقاً وبدأن يعشن حياة غربية في العادات والتقاليد وكان لهذه المتغيرات مردوداً سيئاً على الحياة العائلية حيث بدأت تدب الخيانة داخل الأسرة تارة من الزوج وتارة من الزوجة مما نجم عنه الطلاق وفض العلاقة الزوجية وفرط عقد الأسرة. فكان الرجل التركي يرى أنه لا عقاب لخيانة الزوجة سوى الطلاق.

وفي هذه القصة التي نحن بصددها وهي «الطلاق بالثلاثة» بعدما طلق الرجل زوجته وأرسل لها ورقة الطلاق، نجد أن الزوج بعد إلحاح الأصدقاء والأقرباء والأهل يعيدها ثانية إلى بيته بعدما أحضرتها والدتها ولكنها وفقاً لأحداث القصة أنها بعد خمسة أشهر ارتكبت

(91) صلاح الدين عاصم : مرجع سابق، ص 44.
(92) صلاح الدين عاصم: المرجع السابق، ص 44 – 45.
(93) جلال نوري: تور انقلابي، ص 236، 237.

حادثة أخرى[94]. وكان نتيجة هذه الواقعة أنه طلقها مرة أخرى ويســـوق لنا «فخري جلال» هذه الواقعة على لسان زوجها قائلاً:

... دخلتُ يا ســـيدي للداخل ونظرت فإذا بنجاتي وجهه مصـــفراً، والزوجة ترتعش، وأخذتُ أنظر لكلاهما، وضــربت وجه الحقير بصــفعة، وبقى مكان أصــابعي الخمســة في وجهه، وأخذته إلى تحت قدماي، ولد سافل، عدو الشرف، اعتداء على شرفي في عقر داري مسـتغلاً سـكري... وأمسـكت رأسـه كثيراً، ولا أدري ماذا أصـنع به؟، ... وفي النهاية ألقيت بمغوى النسـاء إلى الشـارع في نصـف الليل. وسـوف أضـرب الزوجة أيضـاً، سـوف أضـربها ولكن خشـــيت من ذلك قائلاً: ربما تكن حاملة...، والآن قل... ولكن، ليس لخاطري، لله تعالى، أنا أقبض عليها بيدي على هذا النحو، وينبغي عليَّ أن أعطيها نقوداً اثني عشـرة ليرة في الستة أشهر كنفقة...[95].

على أية حال ومن خلال قراءة هذه المجموعة القصـصـية نلمس أن الدافع الأول وراء الطلاق هو الخيانة الزوجية وهناك شـواهد كثيرة عرضـها فخري جلال في ثنايا هذه القصـة وغيرها من القصص. ولكن ما ذكرناه من شواهد يكفي للتدليل على هذه القضية حتى يتسنى لنا التطرق للقضايا الأخرى التي نريد أن نعرج عليها ليكتمل بناء هذا البحث.

*** تردي صورة المرأة عند الرجال في هذه الفترة:**

([94]) Mustafa Baydar: a. g. e., s. 21- 22.

([95]) Efendim, içeri girdim. Baktım Necatide şafak atmış... Karı titrer, şöyle ikisini birden bir süzdüm. Herifin suratına bir... tokat!.. Beş parmağımın yeri kaldı, aldım ayağımın altına, oğlan alçak, ırz düşmanı, benim sarhoşluğumdan bilistifade, burnumun dibinde haremime tasallut ha... Kafayı fazla tutmuşum, ne yaptığımı bilmiyorum, ... Velhasıl Ömerciğim, çapkını gece yarısı sokağa attım. Karıyı da döğeceğim, döğeceğım ama ya hamile ise diye çekindim, ... Ee şimdi sen söyle... Ama hatır için değil, Allah aşkına, ben böyle elimle yakalayayım da bir de nafaka diye altı ay onikişer para vereyim.

- Mustafa Baydar: a. g. e., s. 22 – 23.

لقد تبدلت صورة المرأة في هذه الفترة من عمر الدولة لدى الرجل. حيث أصبحت المرأة العفيفة المصونة التي لا تُرى في الشارع ولا تخالط الرجال تنزل إلى الشارع وتختلط بالرجال وتجلس معهم وتشاركهم في الحراك الثوري. وبدأت المرأة أيضاً تتقمص شخصية المرأة الأوروبية وتهتم بزينتها وزيها والخروج على هذا النحو إلى الشارع ووصلت المرأة إلى مرحلة من التردي الأخلاقي الذي لفت انتباه بعض الإصلاحيين واستشعروا خطر ذلك، مما حذا ببعضهم إلى وضع الكتب والمؤلفات في ذلك الوضع حتى يبصروا المجتمع والنساء بخطورة الوضع المجتمعي وما وصلت إليه المرأة من تدني الأخلاق. وهذا له عظيم الأثر على الدولة وأنه لا صلاح لحال هذه الدولة إلا مع صلاح نساءها، حصنها الحصين من الداخل.

وقد أشار إلى ذلك «ابن الحقي محمد طاهر» في كتابه «نساء المشروطية» حيث قال: «سوف يتم تأمين الوطن العثماني والنهوض به في ظل النساء أكثر من الرجال، ... فإنقاذ الوطن وإيصاله إلى بر الأمان ليس بمواجهة قواتنا للعدو في الحدود ولا بتصديهم لرصاص البنادق ودانات المدافع. ولكن إنقاذ الوطن ممكن بنضال النساء البطولي في زمن الصلح... فلا يحارب الأعداء بالسيف والرصاص والمدفع فقط. فكل شخص وكل أولاد الوطن يصونوا وطنهم من تعرض الأعداء بأعمالهم وأفعالهم التي يقومون بها في كل لحظة ودقيقة»(96).

والكاتب «ابن الحقي محمد طاهر» يشير في ذات الكتاب إلى أن العدو لكي يهزم الدولة ويسيطر عليها فإنه يفسد الأخلاق عند النساء والفتيات ويذهب عنهن الفضائل حتى يتم تقويض أركان المجتمع. والكاتب يرى في كتابه هذا أن الحل في صلاح المجتمع يكمن في تربية النساء وإعدادهن إعداداً جيداً وأن المجتمع التركي ينتظر منهن الكثير:

أيتها النساء! أيتها الفتيات! كل واحدة منكن قلعة داخلية من أجل هذا الوطن. وهناك قول مشهور يجب أن تعلمونه جميعاً. يقال: « يُستولى على القلعة من الداخل». وها هو حالكم يسهل على العدو تدابيره المختلفة ليتحكم فيكن ويسيطر عليكن من الداخل. يعني يُذهب العدو عنكن الفضائل الأخلاقية، ويسعى لينسيكن وطنكن الحبيب الذي تتواجدن فيه

(96) ابن الحقي محمد طاهر: مشروطيت خانملرى، ص 3- 4 .

وأنتن أصـــحابه وتتمتعن بنعمه... وبناءً عليه أيتها الفتيات المحترمات أيتها الســـيدات إن الوطن ينتظر منكن خدمات كثيرة. وكونوا على قناعة بأن ثروة وسعادة الأوربيين والأمريكيين وقوة وســطوة حكوماتهم إنما هي بتأثير النســاء هناك. فالرجل في هذه المجتمعات يكمُل في ظل المرأة(97).

وفي الحقيقة انعكســت صـــورة المجتمع التركي بكل ما يحمل من مشـــكلات على صـفحات الأدب. فكانت المرأة وقضـاياها من الموضـوعات التي تناولها الأدباء الأتراك على صـفحات قصـصـهم ورواياتهم وأشـعارهم باحثين عن حلول لما يعرضـونه. ونحن من خلال دراسـتنا للمجموعة القصـصـية «الطلاق بالثلاثة» نرى أن «فخري جلال» يتعرض لصـورة المرأة وتردي هـذه الصـــورة عنـد الرجـل من خلال قصـــة «جحيم المرأة : Kadın Cehenemi». ففي هذه القصـة نلحظ أن بطل القصـة «نديم» لم يعد يجد المرأة التي يمكن أن يأنس بها ويلجأ إليها وقت الشـدائد. وأن المرأة التي بها هذه الخصـال أصـبحت وهم عنده فلا وجود لها. حيث أن حال النســـاء تبدل وتغير مع وتيرة الحداثة؛ فلم تعد وفية لبيتها ولزوجها وأولادها وإنما أصبحت مشغولة بملذات الحياة وبمستجدات العصر ولم تعد للعادات والتقاليد المتوارثة وجود عندها. وعلى هذا فهو حينما يبحث عن المرأة التي تحتويه وتهدئ من روعه وقت الشدائد لم يجدها. وذكر لنا ذلك في قصته «جحيم المرأة».

ويقوم «فخري جلال» في هذه القصـــة بعرض تجربتين لبطل قصـــته «نديم» يبين من خلالهما كيف أن مكانة المرأة اهتزت عند الرجال وتبدلت، ففي **تجربته الأولى** نراه يصـور لنا المرأة بأنها لا تهتم إلا بنفســها وحريتها المزعومة وأنها لا تصـلح لأن تكون سـيدة يُلجأ إليها وقت الشدائد ويصور لنا ذلك على هذا النحو:

« ... كان نديم – قبل عام من ذلك الوقت – راهباً مبرئاً من كل عيب؛ ولم تدخل امرأة قط حجرته للاعتراف بذنبها، ولم تُخبأ رســـالة قط في أدراجه. ولا يوجد في قلبه وجه باســـم

(97) المرجع السابق، ص 16.

لامرأة قط.. لا يوجد.. ولســـنوات لم تأتِ امرأة تصـــغي له برهة، تبكي له، تقول له «أنت»؛ امرأة تقول له «أنت»...

آه، والحال هو أنني كانت لديَّ مخيلة واســـعة. واســـعة وودودة ... بحثت عن امرأة تنقذني وتسليني وتقول ليّ «ليس بشيء، ليس بشيء» عندما أهرب إليها في الأيام التي أرى أنها مملوءة بالمخاطر. ولكن عندما أطبق ذراعيا كنتُ أحضن دائماً الهواء بدلاً منها[98].

كما أن «فخري جلال» يصـور لنا المرأة في ثنايا عرضـه للقصـة على لسـان «نديم» بأنها «فاكهة ممنوعة» وأنها «جحيم». ونظر إليها «فخري جلال» وبطل قصـــته هذه النظرة بدلاً من أن يرى فيها أنها عماد الأسـرة وأنها نصـف المجتمع. ولعل هذه النظرة سـببها هذا التحرر الذي فيه المرأة ومخالطتها للرجال والرغبة في إقامة علاقة ود وصداقة. وقد صور لنا «فخري جلال» هذا الأمر بقوله :

وهناك تلاثمنا كمسافرين يملأهما الشوق؛ وربما في ثانيتين أوضحنا الأشياء التي ظلت غامضة بيننا حتى ذلك الوقت: وكل الأشياء لم تكن شيء سوى فهم خاطئ!...

يا ربي لماذا جهنم في هذه الأثناء حسنة؟ .

ألست أنا معصوم أكثر من هذين المذنبين المشهورين (آدم وحواء)؟ ... فعلى الأقل لم أتذوق الفاكهة الممنوعة قبل أن أحِلَّ على الأرض السوداء ...

([98]) Nedim o vakitten bir sene evvel, tam hiç eksiksiz bir papazdı: hücresine, günahını itiraf için bir kadın girmezdi, çekmecelerine hiç bir mektup saklanmazdı. Ve kalbinde hiç bir kadının mütebessim yüzü yoktu... Yoktu... Senelerce zaman onu dinleyecek, ona ağlayacak, ona «sen» diyecek bir kadın gelmedi: ona «sen» diyecek bir kadın...

Ah halbuki benim ne geniş bir muhayyilem vardı. Ne geniş ve sıcak.. Tehlikelerle dolu gördüğum günlerimde kendisine kaçtığım zaman kurtaracak, teselli edecek, «Bir şey değil!, bir şey değil» diyecek bir kadın arardım. Fakat kollarımı kapadığım zaman daima onun yerine ... ben de havayı deraguş ederdim.

- Mustafa Baydar: a. g. e., s. 46- 47.

ووسط هذه الخواطر نخزت واحدة ذراعي؛ فأدرتُ رأسي من بين ساعدي: وكانت السيدة «بريهان» تحاول مســـح الأماكن الملطخة بالوحل من جاكتي بيدها وهي خائفة لكنها مجبرة على ذلك... بجانبي «فاكهة ممنوعة» ... وكانت تنقفني بطرف ظفرها...

وقلت : «لا أريد، لا أريد». ولكن هذه المرة كان الشيطان هو من يعاقب: ألقى بيّ في جحيم المرأة(99).

أما في **التجربـة الثانيـة** التي تعرض لها «نديم» فإنه يبين لنا «فخري جلال»، من خلال بطله هذا، كيف أن المرأة التركية أصـــبحت معنية بزينتها وتجميل نفســـها ومغرقة في التحرر بعدما كانت لا تُرى حتى في القصر ويسوق لنا فخري جلال هذا المشهد على لسان بطل القصة «نديم» حيث يقول:

واستمر «نديم» في حديثه بعينين يملأهما الخيال:

– ما أجملها امرأة يا ربي! ... ما أجملها ! ... ما أجملها!... امرأة تزداد عمقاً كلما ســـبرت غورها! ... لها حاجبان ملتويان كالقنزعة على عينيها اللتين تفكران وتتكلمان دائماً. وكانت الدائرة البنفســـجية الموجودة تحت جفنيها تجعل ننى عينيها كالنجوم اللامعات في قطعة سماء زرقاء. وكان وجهها الرقيق الغضوب في جماله كشجرة الزينة التي تعرف باسم «مانوليا».

(99) Hasretli yolcular gibi orada öpüştük; belki iki saniyede, aramızda o zamana kadar meçhul kalmış şeyleri aydınlattık: Her şey bir yanliş anlayıştan başka bir şey değildi!..

O halde bu kadar cehennem niye iyi idi yârabbi? Ben o iki meşhur günahkardan daha mâsum değil miydim?.. Hiç olmazsa kara toprağın üstüne düşmeden evvel memnü meyveyi tatmamıştım..

Bu düşünceler arasında birisi kolumu dürtt; dirseklerimin arasından başımı çevirdim: Perihan hanım, ceketimin çamurlanmış yerlerini korkarak fakat mağlüb eliyle silmeye çalışıyordu... «meyve-i memnüa» yanımda ... ve beni fiskeliyordu!..

«İstemem, istemem!... » dedim. Fakat bu sefer cezakârım şeytan oldu: Beni kadın cehennemine attı..

- Mustafa Baydar: a. g. e., s. 51.

تجولنا سوياً حتى المساء تارة متحدثين عن البندقية والصيد والهواء وتارة نصمت بعض الوقت.. ودُعيت على الطعام بشكل رسمي من أجل تلك الليلة... [100].

ولعل هذه الزينة التي ظهرت عليها المرأة ودعوتها له على الطعام في بيتها ثم الحوار الذي دار بينهما خلال الوقت الذي قضـاه «نديم» معها وملاحظته بأنها سـيدة متحررة للغاية وأنها رغم المعرفة بينهما لم تكن ذات وقت بعيد إلا أنها كانت تتصـــرف معه كما لو كانا عاشـقان يجمع العشـق بينهما منذ زمن. كل ذلك جعل جميع النسـاء عنده عبارة عن جحيم وأنهن أصـحاب نزوات، فتحولت آماله فيهن إلى وهم وخيال. ونلحظ ذلك من خلال وصـف «فخري جلال» وسرده للمشهد على هذا النحو:

وتوسلت إليها لكي أجد المودة القديمة والإخلاص ثانية وقلت:

ـــ لا تفعلي هذا يا «نيلوفر» لا تفعلي؛ لا تحبيني قليلاً، ولا تطيعيني قليلاً... وأوغري نار الشك في قلبي، أرجو هذا، أرجو هذا.

– قالت: حسنٌ ...

آه، كانت هذه المرأة قد أصـــبحت راضـــية بهذا؛ وقد تمازح بعض الرجال ورائها عند الجسر. وعندما جاءت إلى المنزل كانت تضحك بشهقة...

وفي ذلك اليوم كنتُ مسـتريحاً قليلاً: وكنت قد أشـغلت قلبي المتعب بالجمال، والميت منه بنار الأنانية.

وفي ذات يوم وبدون سـبب قط وبدون عراك أخذتُ بندقيتي أمام عينيها، وناديت على كلبي. ونزلت من السلالم الواسعة ثانية كما أتيت؛ وهي كانت مستلقاة في الطريق!..

ماذا قلتم؟. يا ترى هل كنا نحب بعضنا؟.

([100]) Mütehayyil gözlerle Nedim devam etti:

Ne güzel bir kadındı yârabbi!.. Ne güzel! Ne güzel!.. Derinleştikçe derinliği artan bir kadın!.. daima düşünen, söyleyen gözlerinin üstünde bir sorguç gibi kıvrılmış kaşları vardı. Kapaklarının altında mor bir halka, bebeklerini lâcivert bir gök parçasının içinde ışıldayan yıldızlara benzetiyordu. İnce sinirli yüzü bir manolya kadar donuktu...

Akşama kadar tüfekten, avdan havadan bahsederek ve birçok da susarak beraber gezdik.. O gece için resmen yemeğe davet edildim...

- Mustafa Baydar: a. g. e., s. 53.

حفظكم الله من شـر الشـيطان.. أصـبحت جميع النسـاء على هذه الصـورة بالنسـبة لـيّ: وكانت آمالي التي يعلو كل واحد منها كالشمس تصير وهماً فيهن.

تحطمت على طريقي الأرامل والمتزوجات والفتيات الاتي نســـيتُ أســـمائهن وحتى وجوههن..

تحطمت جميعهن جميعهن، أصـبحن بالنسـبة لـيّ سـعداء، أصـبحن ملعونات... بكَينَ جميعاً لأجلي...

والحال هو أنني سئمت ومللت كثيراً من البكاء ومن الحب! [101].

ويقول «جلال نوري»: وبدأ يظهر من هذه الأخلاق الذميمة الكذب والافتراء وسوء الخلق وعدم السـجية والتلون والخداع وكل السـلوكيات المذمومة . وأدت الترديات المادية إلى الترديات

([101]) Tekrar eski sıcaklığı bulmak için yalvardım:
- Yapma, yapma Nilüfer, dedim; beni biraz sevme, bana biraz itaat etme ... Ve kalbime şüphenin ateşini sok, bunu rica edrim, rica ederim, dedim.
- Peki... dedi.
Ah bu kadın ona da razı olmuştu; köprüde arkasına birçok adamlar taktı. Eve geldiği zaman... hıçkıra hıçkıra gülüyordü...
O gün biraz müsterihtim: Güzelliklerle yorulan, ölen kalbimi, hodbin bir ateşle işletmiştim.
Ve bir gün artık hiç sebepsiz, kavgasız, gözlerinin önünde tüfeğimi aldım, köpeğimi çağırdım. Geldiğim gibi yine geniş merdivenleri indim; o, yolda yatıyordu!..
Ne dersiniz?. Acaba biz, birbirimizi seviyor muyduk?
Allah sizi, şeytanın şerrinden saklasın.. artık benim için butun kadınlar böyle oldu: Birer güneş yükselen ümitlerim, hepsinde birer vehim oluyordu.
Dullar, kocalılar, isimlerini hattâ yüzlerini bile unuttuğum kızlar.. Hepsi yoluma yıkıldılar, benim için mesud oldular, benim için mel'un ... ve hepsi de benim için ağladılar...
Halbuki ben ağlatmaktan, sevilmekten ne kadar bıkmış usanmıştım!..
Mustafa Baydar: a. g. e., s. 55.

الأخلاقية. وصـــار ســـوء الخلق تقدماً ورقياً عند الطبقة العليا... وقد زلزل هذا التوجه حياة العائلة، وأوقع الخلل داخلها. ولم تصـــبح المرأة التركية ســـيدة منزل. كما أنه لم يبق لدينا طهر ونظافة وترتيب ونظام والرغبة في معيشـــة حســـنة والأمل في حياة مربحة والتمتع بالحياة قدر الإمكان، وفهم الحرية فهماً صحيحاً[102].

وفي الحقيقة من يطالع هذه المجموعة القصصية «الطلاق بالثلاثة» ربما تأخذه الدهشة من هذه الصورة التي رسمها الكاتب للمرأة في تركيا عقب إعلان المشروطية أو الفترة التي كانت انتقال إلى عهد الجمهورية. ولكن الكاتب أراد من وراء هذه الصورة أن يبين لنا أثر الحداثة على المجتمع التركي في صورة المرأة.

وقد ذكر «فخري جلال» كثيراً في مقالاته وجهات نظره المرتبطة بالحداثة... وأظهر كيف تحول المجتمع في وتيرة الانتقال إلى عصر الجمهورية، وتناول ذلك في إطار العلاقة بين الرجل والمرأة ولاسيما في بؤرة صورة المرأة [103].

وسعى «فخري جلال» إلى أن يعكس في قصصه الحقائق الملفتة للنظر التي شاهدها في العلاقات الاجتماعية. وكتب القصص في طرز «موباسان» وفي مفهوم القومية والواقعية. ووقف في قصصه على التغير الاجتماعي الذي عاشه المجتمع العثماني – القائم على القيم العرفية المتخذة فكر العالم الإســـلامي منذ قرون مصـــدراً لها – في وتيرة الانتقال إلى الجمهورية، كما وقف أيضـــاً على المشـــاكل الثقافية والانحلال الأخلاقي الذي أوجده هذا التغير[104]. وعكس التحول الذي أحدثته وتيرة الحداثة في المجتمع التركي في إطار العلاقة بين الرجل والمرأة. وتم تناول المرأة في حكاياته – كما هو في مقالاته – كممثل للقيم الجديدة الوافدة من الغرب، والرجل كممثل للقيم المتوارثة... ويعتبر «فخري جلال» هو الحلقة الأخيرة في مسار أحمد مدحت، وحسين رحمي، وأحمد راسم، وسرمد مختار، وعثمان جمال. وفخري جلال هو شاهد لأحداث وشخصيات عصره في قصصه. ومن هذه الناحية هو

(102) جلال نوري: قادينلر مز، مطبعهٔ اجتهاد، استانبول 1331هـ، ص 182.

(103) İhsan Işık: Resimli ve Metin Örnekli Türkiye Edebiyatçılar ve Kültür Adamları Ansiklopedisi, Cilt: 4, I. Baskı, Elvan Yayınları, Ankara 2006, s. 1468.

(104) İhsan Işık: a. g. e., s. 1471.

اسـتمرار لخط القصـاصـين السـابقين. وتُعرض في حكاياته الحياة المحلية والأفراح والعادات وعلاقات الرجال والنساء والمسارح وأماكن التسلية للعصر والوقائع القضائية ومشكلات أحياء الساحل، كل ذلك بعين شخص مشاهد قوي دون أن يكون له عمق شديد[105].

*** المرأة والإفراط في العشق:**

ويسـتمر «فخري جلال» في التصـدي لوضـع المرأة وصـورتها في المجتمع التركي من خلال قصـة جديدة تحت اسـم «عشـق المرأة» من ضـمن المجموعة القصـصـية «الطلاق بالثلاثة». ويبين لنا «فخري جلال» في هذه القصة كيف أن المرأة بجمالها الساحر استطاعت أن توقع هذا الرجل في شـــباكها وتســـتقله معها في عربة واحدة ويتبادلان أطراف الحديث ويتفقان على ما يتفقان عليه ويصور لنا المشهد على هذا النحو :

وقفت أمام السـيارة التي وقفت في ميدان تقسـيم، ولمعت عيناها السـوداوتان من بين شبائك السيارة، وتلألأت شفتاها ذات اللون البنبي، ولم يكن هناك لزوم للتغابي، حيث جلسنا على القطيفة ذات اللوالب كزوجين تماماً.

– وقلت لها: لا أدري كيف أشكرك يا سيدتي؟...

– فقالت أسـتغفر الله يا سـيدي، من يعرف ربما تقولون عليّ امرأة مسـتهترة جداً، ولكن ليس منها ضرر ...

– فقلتُ: لا تقولي هذا، وإلا فأنتم أيضـاً هل سـتقولون عليّ زير نسـاء؟... وكانت مع اهتزازات السـيارة تثب من مكانها وتضـحك بقهقهات. وأقلنا السـائق حتى التبة دون أن يوجه لنا سؤالاً قط ولا أدري فيما تحدثنا، وكيف توافقنا؟ [106].

([105]) A. g. e., s. 1471.

([106]) Taksim'de güzel tımar edilmiş küheylanlar gibi eşinip duran bir otomobilin önünde durdu, kafesleri aradından kara gözleri pırıldadı, penbe dudakları incilendi, abtallık etmeğe lüzum yoktu, tıpkı karı-koca gibi yaylı kadifelerin üstüne kurulduk.

- Size nasıl teşekkür edeyim hanımefendi? dedim...

- Estağfurullah efendim dedi, kim bilir, bana belki de ne kadar hoppa diyeceksiniz, ama zararı yok...

ويعتبر هذا المشـــهد غريب كل الغرابة عن المجتمع التركي. وجعل فخري جلال المرأة التركية صـــورة لهذه الحداثة. ففي ظل هذه المتغيرات لم ترض المرأة التركية بطريقة الزواج التقليدية عن طريق الخاطبة وإنما تفضـــل الزواج القائم على الحوار واللقاءات وتبادل العشق[107].

ولم تكتفِ هذه المرأة بهذا الأمر فقط، بل إنها حينما نزلت من السيارة على رأس الشارع الذي تقيم فيه قامت بدعوة هذا الرجل العاشـــق لها للمجيء إلى بيتها في يوم غد وهي امرأة أرملة تجلس بمفردها، لكنها لم ترعَ حرمة ذلك، مما شـجع العاشـق على أن يضـم يدها إلى شـــفتاه ويقبلها، ثم يذهب إليها في اليوم التالي في الموعد الذي قالت عليه[108]. وفي أثناء حديثها مع عاشقها تقدم لنا هذه المرأة وصفاً دقيقاً من وجهة نظر المجتمع التركي تجاه المرأة التي تتصـرف مثل هذا التصـرف وتدعو رجلاً تعرفه لأول مرة في الشـارع إلى بيتها توصـفها في صـــورتها هي: بأنها «مجنونة، وعديمة حياء، وســـاقطة» وعرض لنا فخري جلال هذه الصورة فيما يلي:

قلت: أنتِ تشبهين المخدوعة كثيراً يا سيدتي.

تنهدت بتأوه:

– أبداً، بالعكس.. لو كان زوجي خدعني تأكد أنني ما كنت أتحمل أن أعيش معه دقيقة واحدة. فهو مات منذ عهد بعيد في حالة يرثى لها ...

– والآن ؟ ...

– الآن حرة ... عندما ترون دعوتي الغريبة هذه فمن يعرف فيما تفكرون ... ففي حي «شيشلي : şişli» توجد أمور على هذا النحو... تقريباً أصدرتم قراركم أليس كذلك؟ ... امرأة مجنونة، عديمة حياء، وساقطة[109].

- Öyle demeyiniz, dedim, yoksa siz de bana tam bir zampara mı diyeceksiniz?... Otomobilin sarsıntılarıyla yerinden sıçrayarak kahkahalarla gülüyordu. Şoför bize hiç sormadan, tepeye kadar götürdü, neler konuştuk, nasıl anlaştık bilmem.
Mustafa Baydar: a. g. e., s. 85-86.

([107]) A. g. e., s.49

([108]) A. g. e., s. 86.

([109]) Çok aldatılmışa benziyorsunuz hanımefendi, dedim. İçini çekti:

ويصـور لنا الكاتب في نفس القصـة بأن المرأة في هذه الفترة من حياة الدولة العثمانية كالإبرة يمكنها أن توخز كل إنسـان، وفي نهاية الحوار الذي دار سـجالاً بينهما قامت بعناق هذا العاشق وفي هذا الموقف الفائض بالمشاعر، أفصحتْ بشكل طوعي ولا إرادي عن هذا السر الذي في دخائلها حيث أخذت وهي في أحضـان عاشقها تردد اسم شخص آخر وهو «ناظم» صـاحب الماضـي معها، الأمر الذي أرجف وأزعر عاشـقها وتبين من خلاله سـوء أخلاق المرأة وأنها لم تكن له وحده[110].

ولعل هذه الصـورة التي وصـلت إليها المرأة وركز عليها «فخري جلال» في مجموعاته القصـصـية لفتت انتباه بعض الإصـلاحيين في هذه الفترة من عمر الدولة العثمانية ولذلك أفردوا لهذه القضـية كتباً مسـتقلة تتناول المرأة شـعوراً منهم بالتحول الهائل في حياة الأسـرة والمجتمع التركي والذي يرجع سـببه إلى انهيار مكانة المرأة وفقدها لدورها الرئيسـي في المجتمع. ومن هؤلاء الإصـلاحيين الذين تحدثوا عن المرأة في كتب مسـتقلة «صـلاح الدين عاصم» حيث يقول في هذا الصدد:

إن الفسـاد الذي يطغى على العائلة وعدم الاسـتقرار مع العوامل الأخرى يعرض المرأة لخطر الابتعاد دائماً عن وظيفتها كزوجة أو أم. ولهذا ازداد تردي وضـع العائلة في تركيا؛ لدرجة أن بعض النسـاء رضـوا بالفحش وقاموا به بكل سـفاهة إما بسـبب تأثير الوضـع غير الطبيعي الذي أوجده التغريب أو بسـبب أنهم تزوجوا دون وعي منهم. وقد تردى وضـع المرأة بسبب انحطاط الدور العائلي للمرأة في الحياة الزوجية والأمومة[111].

- Hiç te değil, bilâkis. Eğer zevcim beni aldatsaydı, emin olunuz, onunla bir dakika yaşamaya tahmmül etmezdim. O, zavallı çoktan öldü...
- Ya şimdi?...
- Şimdi serbestim... Benim bu garip dâvetimi gördüğünüz zaman kimbilir neler düşündünüz... Şişlide öyleleri var ki... Hemen hükmünüzü verdiniz değil mi?... Çılgın, utanmaz, düşmüş bir kadın.
- Mustafa Baydar: a. g. e., s. 86.

([110]) Mustafa Baydar: a. g. e., s. 88.

(111) صلاح الدين عاصم: مرجع سابق، ص 166.

وبعدما انتصر الصراع القومي ورسخ نظام جديد وظهر شيئاً فشيئاً نظام جديد للحياة السياسية والاجتماعية، شرعت المشكلات الرئيسية المتعلقة بالحياة اليومية للناس – مثل عدم المساواة في الناحية الاقتصادية والعلاقة بين العامل وصاحب العمل، والانهيار الأخلاقي – في أن تكون موضوعاً للقصة. وعندما يُتابع تطور القصة الحديثة في تاريخ الأدب يُلاحظ أن القصة لها مفهوم واقعي منذ البداية من ناحية إدراكها بالعالم والبيئة وعكسها لها. وباختصار فإن القصة القصيرة – التي نالت هوية أدبية مستقلة مع عمر سيف الدين(1884م–1920م) – تعمد إلى المشاهدات النابعة من الحياة اليومية بالذات وإلى الواقعية المعتمدة على التجارب[112].

*** الخيانة:**

ومن القضايا التي طوف حولها «فخري جلال» بقلمه في تناوله للمرأة أمر الخيانة الزوجية من طرف المرأة. وفي حقيقة الأمر، فإن من يقرأ المجموعات القصصية لفخري جلال يشعر أنه متحامل على المرأة وأن بينه وبينها عداوة وبغضاء ويريد أن يتشفى فيها على صفحات قصصه. ولكن من يتعرض لما كتب عن المرأة من كتب إصلاحية وما ذكر فيها من توصيف لوضع المرأة التركية عقب إعلان التنظيمات عامة (1839م) والمشروطية الثانية (1908م) خاصة يدرك أن ما يكتبه فخري جلال إنما هو رصد للواقع الذي يعيشه المجتمع التركي وليس تجاوزاً وتحدياً منه، وإنما أراد فخري جلال أن تكون صفحات هذه القصص مرآة ينعكس عليها واقع المجتمع التركي.

وللوقوف على هذا الأمر تخيرنا من قصصه قصة «اللص». ففي هذه القصة يتناول الأديب قصة رجل مريض وزوجته التي تخونه رغم أنها تبكي عليه بكاءً مريراً. ويبين لنا الأديب من واقع هذه القصة كيف أن الخيانة هذه تؤثر بالسلب على من يرغبون في الزواج؛ فهذه الخيانة من هذه الزوجات تجعل من يقبل على الزواج يتردد في ذلك أو لا يرغب فيه بالمرة كما حدث مع هذا الطبيب الذي لم يرغب في الزواج حتى سن متأخرة بسبب أنه رأى

(112) Ramazan Korkmaz ve diğerleri: Yeni Türk Edebiyatı 1839 – 2000, s. 343.

واقعة هذه الخيانة بأم عينه. فيمهد لقصـته بالحديث الذي كان سـبباً وراء تأخره بالزواج حتى هذا السن الذي بلغه حيث يقول:

نعم في النهاية رُفضـــت؛ ولا أدري هل لبنتهم يد في هذا أم لا... ولكنهم فكروا في الأمر قائلين: لماذا بقيت أعزباً ولم أتزوج حتى سن الثامنة والثلاثين... وانتقلوا من المكان ثم قرروا رفضـي من الارتباط ببنتهم... حسنٌ، وأنا بالفعل بكل خبراتي لا يمكن أن أكون إنسـاناً آخر ومنصفاً للنساء. وربما مهنتي كانت لا توجب عليَّ هذا. آه يا ربي، كيف حدث هذا، لقد نسيت تلك الليلة المخيفة، وفجأة على هذا النحو قررت الزواج...

– قلت: هل صـحيح؟ هل لم يعطونك بنتهم بسـبب أنك لم تتزوج حتى الآن، وبسـبب أنك أصبحت بعد ذلك طبيب نساء؟.

– نعم كان بسبب هذا فقط، وقد كتبوا الرسائل بهذا.

– مع أنهم ربما سمعوا شيئاً حول تلك الليلة المدهشة التي ستُفصحُ عنها الآن..

– هيا يا روحي ... بعدما أصـبحتُ شـاهداً على تلك الليلة، بكل تأكيد كنت لن أقدم على الزواج[113].

([113]) - Evet, nihayet reddedildim: kızının bunda ne dereceye kadar parmağı var, bilmiyorum, fakat ... Otuz sekiz yaşına kadar niçin evlenmeyip bekâr kalmışım ... Düşünmüşler, taşınmışlar ve beni redde karar vermişler... İyi, ben zaten bütün tecrübelerimle, kadınlar için daha başka, daha insaflı olamazdım ki.. Belki san'atım bunu icabettirmiyordu. Of yarabbi, nasıl oldu, o korkunç geceyi unuttum da, böyle birdenbire evlenmeye karar verdim.

- Sahih mi? Dedim. Kızlarını şimdiye kadar evlenmediğin için, sonra da kadın doktoru olduğun için mi vermediler?

- Evet, yalnız bunun içinmiş, mektup yazdılar.

- Maamafih belki şimdi ağzından kaçırdığın o müthiş geceye dair bir şey işitmişlerdir...

- Haydi canım... O geceye ben şahit olduktan sonra, bizzat evlenmek deliliğini yapmayacaktım.

- Mustafa Baydar: a. g. e., s. 24.

وفي ثنايا عرضه يذكر الكاتب بأن السيدة «نريمة» زوجة «جودت» قد أرسلت برسالة إلى طبيب النساء هذا لكي يأتي لمعاودة صديقه «جودت» ولكي يساعدها فيما ألم بزوجها، وذهب هذا الطبيب إلى هذه السيدة وزوجها الذي هو صديقه، فوجد هذه السيدة تبكي على زوجها شديد البكاء. وهذا يبين لنا مدى حبها لزوجها وخوفها عليه وقد عرض لنا الكاتب هذا الأمر بقوله:

مضت خمس أو ست سنوات ... وفي هذا اليوم ربما كنت قد استمعتُ لبلية ثلاثين مريضاً؛ وفي وقت حلول المساء استلمت تلغرافاً بإمضاء «نريمة جودت»، وكانت تقول: "صديقكم القديم جودت بك مريض، وإنني أرجو إحسانكم"، وعلى الفور هرولت من السفينة إلى القطار ومن القطار إلى قصرهم الذي استأجروه حديثاً. وحملتني خادمة تلبس في قدميها خف من القماش حتى باب المريض، ودخلت للداخل بهدوء... وفي مكان قرب النافذة التي في المواجهة كانت سيدة تبكي شيئاً فشيئاً وهي تستريح بين يديها البيضاء وشعرها الأصفر؛ وفي الزاوية كان يرقد المريض في سرير كبير دون صوت قط كميت تماماً[114].

ومن خلال الشاهد السابق نلحظ براعة الكاتب في عرضه لأحداث القصة فهو يريد أن يقول من خلال هذا الشاهد أنه ليس هناك سبب للخيانة؛ لأن هذه المرأة كانت تحب زوجها حباً جماً وتبكي عليه وهذا يبين طيب العشرة بينهما. فهو يريد أن يضم أحاسيس القارئ إليه وإلى موقفه الرافض لهذا التصرف والسلوك غير المقبول عند الرجل الشرقي المسلم.

([114]) Beş-altı sene oldu... O gün belki otuz hastanın derdini dinlemiştim: akşam üstü Nerime Cevdet imzalı bir telgraf aldım, «eski arkadaşınız Cevdet bey hastadır. Lûtfunuzu rica ederim» deniyordu, hemen vapurdan trene, trenden yeni tuttukları köşkelerine koştum. Ayaklarına bezden terlikler geçirmiş bir hizmetçi beni hastanın kapısına kadar göturdu, yavaşça içeri girdim, tuhaf bir kedi otu kokusu odaya bir eczahanenin hissini verdiriyordu, karşıda pencereye yakın bir yerde, beyaz elleri, sarı saçlaının arasında dinlenen bir kadın yavaş yavaş ağlıyordu; ve köşede büyük bir karyolanın içerisinde hasta da hiç sessiz, tıpkı bir ölü gibi yatıyordu.

- Mustafa Baydar: a. g. e., s. 25.

ويكمل «فخري جلال» عرضه للقصة حيث يبين لنا أن الطبيب هذا حينما أخلد إلى الراحة سمع صوتاً بحديقة المنزل حيث أخذ يتحرى هذا الصوت ظناً منه بأنه لص حيث ظهر في الضوء بين أشجار الحديقة رجل ذو قامة طويلة وذو ظل طويل. ولكن حينما وصل إلى الغرفة المجاورة لحجرة المريض «جودت» وجد الواقعة التي جعلته يرتاب ليس من الزواج فحسب بل من كل شيء. وجد زوجة المريض السيدة «نريمة» وهي تعانق هذا الرجل وقد حكى لنا «فخري جلال» هذه الواقعة قائلاً:

... وفي النهاية صعدت إلى غرفتي التي خصصوها لنومي ...خلعت جاكيتي وحذائي، وملأت ساعتي. وبينما أتلهف لأن أريح رأسي المتعبة في بياض الوسائد ودفئ اللحاف سمعتُ طقطقة قدم مبهمة في الصمت الذي يخيم على الحديقة المملوءة بالصراصير... تدليت إلى أسفل من النافذة المفتوحة درفتيها... كان لا يوجد شيء ... كانت فقط توجد حزم الأشجار كالظلام، ظلال طويلة وغير طبيعية، وأحجار لامعة زرقاء، وجدران تمتد وتذهب وفيلات مظلمة... وكان يوجد فوقها جميعاً القمر الذي أطفأ ضياء النجوم... لا يوجد شيء آخر ...

وبينما أترك نفسي في أعماق النوم الذي يذكر بالموت ... سمعت صوتاً واضحاً جداً بما لا يدع مجالاً للشك، كان شخص يقفز من مكان عالي؛ يعني الشيء الذي سمعته آنفاً كان صحيحاً. واعتدلت من سريري مستنداً على يديّ ... وكنتُ أقول سأسمع طقطقة (تكه) مفتاح اللص المنشغل الآن بفتح باب الشارع؛ وانسلخت ببطء من الناموسية، خنق السجاد صوت قدماي العاريتين، وأخرجت رأسي خارج النافذة..

قلت إنني أُهذي ... ولكن تحركت ثانية الأوراق المتساقطة؛ وخرج رجل صاحب قامة طويلة وظل طويل من بين الظلام. وبينما يريد أن يضغط على طرف قدمه يكون كما لو سيسقط على الأرض، ويتلوى ويقف ثم كان يسير ثانية...

وهو ذاته... اقترب حتى أمام نوافذ الطابق الأرضي، وأراد أن يقفز إلى أعلى ماسكاً بالستائر المعدنية ...

وتذكرت المريض الذي يرقد ... في غرفته وزوجته التي تجهش بالبكاء بكل مسكنتهم، فأخذت مسدسي ونزلت إلى أسفل. خرجت إلى الردهة، ونزلت إلى الطابق الأرضي بتؤدة، وكنت أقول أُبعد الوغد من أمام النافذة بهدوء. وكان قد أراد الصعود من نافذة الحجرة الموجودة في الجانب الأيسر، وكان المريض موجود في الحجرة الموجودة بجانب هذه الحجرة، وفكرت في نفسي قائلاً: لم يتمكن من الدخول حتى الآن على أية حال، جعلت مسدسي في وضع الاستعداد، دفعت الباب الذي كان مواربا.. ودخلت إلى الداخل..

وكانت هنا تجري الواقعة التي جعلتني أرتاب ليس من الزواج فقط ولكن من كل شيء:

كانت امرأة مرتدية ملابس بيضاء وشعرها غير مصفف تلف يديها البيضاء حول رقبة «اللص»، وكانا يستمعان لأنفاس بعضهما.

وكان الرجل هو الذي أدرك أولاً دخولي الحجرة. نظرت عيناه إليّ لامعة كحباحب في الظلام. وعلى الفور خلص نفسه من الذراعين اللذين يطوقان رقبته، واختفى من النافذة؛ شاهدت هذه الواقعة بعيني، وتمنيت لو أن الأمر كذباً؛ ولكن سمعت صوت قدميه اللتين سقطتا على الأرض بصوت «بوط»...

وبينما تُدار عيناي على الأخرى ببطيء سقط ذراعي ومسدسي إلى أسفل كحجر...

ولم تكن هذه السيدة هي الخادمة، ولكن السيدة هي زوجة «جودت» التي كانت تبكي بهذا القدر، كانت السيدة «نريمة»... (115).

(115) Nihayet yatağı yaptıkları odama çıktım.. Ceketimi, potinlerimi çıkardım, saatimi kurdum, yorgun başımı yastıkların beyazlığı, yorganın ılıklığı içinde dinlendirmeye can atarken cırcır böcekleriyle dolu bahçenin sessizliğinden müphem bir ayak pıtırtısı işittim ... Kanatları açık pencereden aşağıya sarktım... Hiç birşey yoktu... Yalnız demet demet karanlıklar gibi ağaçlar uzun, gayrı tabii gölgeler, parlak, mavi taşlar, uzanıp giden duvarlar, ışıksız köşkler... Ve hepsinin yukarısında yıldızların zıyalrını söndüren ay vardı... Başka hiç birşey... uykuların biraz da ölümü andıran derinliklerine kendimi bırakırken... Daha şüphesiz, daha açık bir ses işittim, birisi yüksek bir yerden atlıyordu: demek demin işittiğim şey sahihti. Yatağımdan ellerimle tutunarak doğruldum.

Şimdi sokak kapısını açmaya uğraşan hırsızın anahtar tukırtısını işiteceğim diyordum; yavaşça cibinlikten sıyrıldım, halılar çıplak ayaklarımın sesini boğdu, başımı pencereden dışarı çıkardım...

saçmalıyorum, dedim... Fakat dökülmüş yapraklar tekrar kıpırdadı: karanlıkların arasından uzun boylu, uzun gölgeli bir adam çıktı. Ayakkabısının ucuna basmak isterken düşecek gibi oluyor, kıvrılıyor, duryor, sonra tekrar yürüyordu:

وهكذا أقامت النساء العلاقة مع الرجل على أساس غريزي وحب مؤقت وعلاقة معيوبة. والمرأة خارج هذه الأوضـــاع ليســـت شـــيئاً يذكر ســـواء من ناحية وظيفة الأم أو الأخت أو الزوجة. وانهماك نســـاء الترك في الزينة والتجمل كثيراً هو واحد من النتائج التي أوجبها هذا الوضع الاجتماعي وهذه العلاقة العاطفية[116].

ومن خلال الشـــاهد الســـابق نرى بوضـــوح كيف أن «فخري جلال الدين» كان مهتماً بموضـــــوع المرأة عظيم الاهتمام ويريد أن يدلل على وجهة نظره وموقفه من المرأة التي أصبحت من وجهة نظره في وضعية بالغة السوء حيث سلمت نفسها لأيدي التغريب ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا أيدي التخريب ووضـــعت عقلها وفكرها أمام رياح الغرب فأتت هذه الرياح بما لا يشـــتهي المجتمع التركي. وأصـــبحت المرأة تمثل أزمة في الهوية التركية؛ لأنها نفضـــت غزلها عن كل ما هو إســـلامي شـــرقي وفتحت ذراعيها واحتضـــنت كل ما هو آت من الغرب دون أن تميز بين ما هو مفيد وما هو ضـــار، فكله عندها يمثل حداثة وتطوراً وما عداه يمثل

Tâ... alt kat pencerelerinin önüne kadar yaklaştı, pancurlara tutunarak yukarıya doğru sıçramak istedi...

Odasında ... yatan hasta, hüngür hüngür ağlayan karısı bütün zavallılıklarıyla zihnimden geçti: bu bana tabancamı alıp aşağıya inmemi hatırlattı. Sofaya çıktım, ... yavaş yavaş alt kata indim. Herifi gürültüsüzce pencerenin önünden çeviririm, diyordum. Sol taraftaki odanın penceresinden çıkmak istemişti, bu odanın yanındaki odada hasta vardı; herhalde daha içeriye girememiştir diye düşündüm, revolverimi hazırlayarak aralık duran kapıyı ittim... içeriye girdim...

Beni yalnız evlenmekten değil, her şeyden şüphelendiren vak'a burada geçiyordu:

Beyazlar giymiş, saçları dağınık bir kadın, beyaz kollarını «hırsız»ın boynuna sarmış, birbirlerinin nefeslerini dinliyorlardı.

İçeriye girdiğimi ilk gören erkek oldu; gözleri karanlıkta ateş böcekleri gibi parlayarak bana baktı. Ve hemen boynunu saran kollardan kendini kurtardı, pencereden kayboldu; bu vak'ayı benim gözlerim icad etti, yalandı demek istedim; fakat yere «pat...» diye düşen ayaklarının sesini işttim...

Gözlerim, ağır ağır ötekine doğru dönerken kollarım ve revolverim taş gibi aşağıya düştü...

bu çıplak kadın hizmetçi değil, hanım, Cevdetin o kadar o kadar ağlayan karısı, Nerime hanimdı....

Mustafa Baydar: a. g. e., s. 26- 28.

(116) أحمد جواد: بزده قادين، كنجلك كتبخانه سى، عدد 2 ، «قدر» مطبعة سى، استانبول 1328هـ، ص 4-5.

جهلاً وتخلفاً. وكان تناول «فخري جلال» لمثل هذه الموضـــوعات هو نقل للواقع التركي وعرضاً لبعض ملامح هذا المجتمع على صفحات الأدب من خلال فن القصة القصيرة.

ولعب «فخري جلال الدين» الذي كان من أوائل كتاب القصــة القصــيرة دوراً كبيراً في إكســـاب هذا النوع مضـــموناً واقعياً. وعلاوة على أن «فخري جلال» كاتب واقعي يتخير حكاياته وأشـــخاصـــه من الحياة فإنه هو أديب يتجه إلى الخصـــوصـــيات الموجودة داخل العام[117].

وعلى أية حال، فقد أدرك الكتاب والمثقفون، خاصة بعد إعلان المشروطية الثانية، أن المرأة التركية لم تعد تهتم بأي شـيء سـوى بنفسـها وزينتها والجري وراء مظاهر الحداثة مما جعلها تنسى واجبها نحو وطنها بل أنساها حبها للحرية المطلقة حب الوطن. ويقول صاحب كتاب «مشروطيت خانملري» في هذا الصدد: ونظر الأجانب الموجودون في تركيا إلى حال الدولة وهوس النساء بالزينة والموضة، فوجدوا فروقاً كبيرة بيننا وبين الأتراك القدامى. وأدركوا أنه لم يبق لدينا الإحساس بحب الوطن، وأنه حل حب الموضة محل الإحساس بالقيم العليا، ولم يبق وقت لدى نسائنا للتفكير في الوطن من جراء الانشغال بهذه الموضة[118].

(117) Seyit Kemal Kara Ali Oğlu: a: g. e., 5. Cilt, s. 675 – 676.

(118) ابن الحقي محمد طاهر: مشروطيت خانملري، ص 7 – 8.

الخاتمـــة

توصلت الدراسة إلى أن إعلان المشروطية الثانية عام 1908م كانت له تداعياته على المجتمع التركي في كافة مناحي الحياة حيث آثر الأتراك كل ما هو وارد من الغرب واعتباره رقياً وثقافة دون تفحيص أو تمحيص. فأخذ الناس يرتمون في أحضـــان الحداثة والحضـــارة الأوربية المتقدة والتخلي عن كل ما هو موروث عن الآباء والأجداد من قيم وعادات وتقاليد مرتبطة بالدين وحضارة الشرق المسنة. فتغير وجه المجتمع التركي تماماً تحت هذه المؤثرات الطارئة عليه والتي بدأت تشـــكل لديه أزمة هوية مع مرور الأجيال وتباين هوة الثقافة بين الآباء والأبناء.

وتناولت الدراســة أثر هذا التغريب بعد إعلان المشــروطية الثانية على المجتمع عامة، والمرأة على وجه الخصـــوص. فرأينا في الدراســـة أن المرأة والفتاة التركية نظرا إلى إعلان المشــروطية على أنه إعلان للحرية. لكن المرأة التركية أســاءت فهم هذه الحرية. فأصــبحت تفعل كل ما يحلو لها وتتصـرف كما تريد تحت مسـمى الحرية. وكانت نتيجة هذه الحرية أن المرأة بدأت تفقد دورها في الأسـرة ولم تعد تهتم سـوى بنفسـها وزينتها وعلاقاتها الاجتماعية. وبدأت المرأة خلال هذه الفترة تنفض عن نفسـها كل ما هو قديم موروث وتتشـبث بكل ما هو جديد وارد من الغرب. فأصبحت المرأة الأوروبية مرآتها التي ترى فيها نفسها، فصارت تقلدها في كل شيء في المأكل والمشرب والملبس والعادات والسلوكيات ظناً منها بأن هذا يعد رقياً.

كما عرجت الدراســـة على «فخري جلال الدين گوك طولغه» وكيف أن هذا التغريب وأثره على المرأة وتردي صــورتها لفت انتباهه. فأراد أن يعكس هذا الواقع الذي وصــلت إليه المرأة على صـفحات أدبه؛ فأنتج لنا هذه المجموعات القصـصـية التي تتخذ في مجملها المرأة موضــوعاً لها. فكان «فخري جلال» واحداً من أولئك الأدباء الذي اهتموا بالمرأة اهتماماً بالغاً في إطار فن القصة القصيرة.

وأوضــحت الدراســة المرأة في الأدب التركي بعد إعلان المشــروطية الثانية من خلال المجموعة القصــصــية «الطلاق بالثلاثة». ومن خلال هذه المجموعة القصــصــية غطت

الدراسة عدة نقاط مرتبطة بالمرأة مثل الزواج والطلاق والخيانة والإباحية في العشق، وتردي صورة المرأة عند الرجال. وركزت هذه الدراسة بالعرض والتحليل على سلوكيات المرأة في هذه الفترة من عمر الدولة العثمانية. ولعل هذه السلوكيات النابعة من فهمها الخاطئ للحرية كما أوضحنا بالدراسة كانت معول هدم للأسرة التركية والمجتمع التركي. ولذلك فطن الأدباء إلى هذا الأمر وتصدوا له في أعمالهم الأدبية. كما أنه أثار حفيظة الكتاب وأعملوا أقلامهم بحثاً عن علاج لهذه المشكلة التي باتت تؤرق المجتمع التركي بأسره، حتى أن الإصلاحيين ألمحوا في كتاباتهم إلى أن المرأة التركية استُهدفت بالذات، لأنه عن طريقها يمكن هدم كل الدولة فهي بمنزلة القلعة الداخلية والحصن الحصين للوطن. فمن أراد السيطرة على أي وطن لابد من هدم هذه القلعة الداخلية. ولذلك بحث الكتاب في أعمالهم عن علاج وناشدوا المرأة التركية بأخذ هذا العلاج وهذه الوصفات التي من شأنها ترتفع بمكانة المرأة وتتبوأ وضعها الصحيح وتلعب دوراً فاعلاً صحيحاً في بناء الوطن.

وبينت الدراسة في صفحاتها أن الأديب فخري جلال الدين تناول في هذه المجموعة من خلال صورة المرأة، العلاقة بين المرأة والرجل وكيف أن المرأة تمثل الغرب وتيار التغريب المتمسك بالحضارة الغربية، وأن الرجل يمثل العادات والتقاليد الشرقية الإسلامية. وأعطانا أيضاً صورة للمجتمع التركي وبالأخص الأحياء التي تعيش على ضفاف البوسفور والحياة المحلية والأفراح والعادات والمسارح وأماكن التسلية للعصر والوقائع القضائية كل ذلك بعين شخص مشاهد للواقع.

كما أوضحت الدراسة أن «فخري جلال الدين» تناول موضوعاته هذه في فن القصة في طرز «موباسان» حيث يعد «فخري جلال» من رواد هذا الفن. فقد بدأ كتابة القصة كواحد من كتاب فترة الحرب العالمية الأولى وفترة الهدنة. وهو واحد من ثلاث أو خمس قصاصين (عمر سيف الدين، رشاد نوري،خالدة أديب...) يُروا في مجلات الشاعر (1918م) ونديم (1919م).

وقد خلُصت الدراسة إلى أن التقدم والرقي ليس بهجر الهوية والثقافة المحلية وتقمص أفكار وثقافة وسلوكيات الغير. وإنما الرقي والتقدم والنهضة لابد وأن يكون مرتكزاً على هوية وثقافة محلية مع الأخذ بالنافع المفيد من الخارج وإحداث تلاقح فكري وثقافي من شأنه أن يعود بالنفع والرقي على العباد والبلاد. كما خلُصت الدراسة إلى أن المرأة هي عماد المجتمع إذا صلحت صلح المجتمع كله وإذا تردت مكانتها وصورتها اهتزت أركان المجتمع بأسره؛

ولذا أسرع الإصلاحيون الأتراك إلى تحسين أوضاع المرأة الاقتصادية والتعليمية وكل ما يخص المرأة حتى تكون نواة لأسرة سليمة وأماً نافعة لشعب يتطلع إلى الإصلاح والرقي.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية :

1- أحمد آق كوندوز (دكتور) وسعيد أوزتورك (دكتور): الدولة العثمانية المجهولة (303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية)، وقف البحوث الإسلامية، اسطنبول 2008م.

2- شوقي ضيف (دكتور): البحث الأدبي (طبيعته . مناهجه . أصوله . مصادره)، دار المعارف ، ط 7 ، القاهرة 1972م .

3- طلال جمعان سعدالجويعد: محمد روحي الخالدي (1864- 1913م) ونظرته للإصلاحات العثمانية، رسالة ماجستير منشورة، مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدلوس للتراث الأدبي – الكويت، الطبعة الأولى، الكويت 2012م.

4- عباس خضر: القصة القصيرة في مصر (منذ نشأتها حتى سنة 1930م، ط2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مارس 2002م.

المصادر والمراجع العثمانية:

1- ابن الحقي محمد الطاهر: مشروطيت خانملري، اعتماد كتابخانه، استانبول 1328هـ.

2- أحمد جواد: بزده قادين، كنجلك كتبخانه سى، عدد 2، «قدر» مطبعة سى، استانبول 1328هـ.

3- جلال نوري: تورك انقلابي، [د.ت].

4- جلال نوري: قادينلر مز، مطبعهٔ اجتهاد، استانبول 1331هـ

5- شمس الدين سامي: قادينلر، ط2، استانبول 1311هـ.

6- صلاح الدين عاصم: تورك قادينلغينك ترديسي، تورك يوردى كتابخانه سي، استانبول. [د.ت]

المصادر والمراجع التركية الحديثة:

1- Ahmet Kabaklı: Türk Edebiyatı, Türk Edebiyatı Vakfı Yayınları, V. Cilt, İstanbul 2006.
2- Ahmet Özkiraz ve M. Nazan Arslanel: İkinci Meşrutiyet Döneminde Kadın olmak, sosyal ve Beşri Bilimler Dergisi, Cilt 3, No I, 2011.
3- Doç Dr. Olcay Önertoy: Cumhutiyet Dönemi Türk Roman ve Öyküsü, Türkiye iş bankası kültür Yayınları, I. Basım, Ankara 1984.
4- İhsan Burak Birecikli: Yüzüncü Yılında II. Meşrutiyet İlanı Üzerine Bir İnceleme, Akademık Bakış 211, Cilt 2, Sayı 13, Kış 2008.
5- İhsan Işık: Resimli Ve Metin Örnekli Türkiye Edbiyatçılar ve Kültür Adamları Ansiklopedisi, Cilt: 4, I Baskı, Elvan Yayınları, Ankara 2006.
6- İnci Enginün: Yeni Türk Edebiyatı Araştırmaları, Dergah Yayınları, 5. Basılmış, Ağustus 2004.
7- Mustfa Baydar: Fahri Celal Göktulğa (Bütün Hikayeleri), Türk Sanatçıları Dizisi, Cem Yayın Evi, İstanbul 1973.
8- Seyit Kemal Kara Ali Oğlu: Resimli Motifli Türk Edebiyatı Tarihi, İnkilap Kitabevi, 5. Cilt, I. Basım, İstanbul 1986.
9- Prof. Dr. İsmail Çetişli ve Diğerleri: II Meşrutiyet Dönemi Türk Edebiyatı, Ak Çağları, I. Baskı, Ankara 2007.
10- Prof. Dr. Mustafa Ergün: İkinci Meşrutiyet Devrinde Eğitim Hareketleri, Ocak Ankara 1996.
11- Ramazan Korkmaz ve dieğrleri: Yeni Türk Edebiyatı 1839- 2000, «Ay Şenur Külahlıoğlu İslam: Cumhuriyet Dönemi Türk Hikayesi», 6. baskı, Ankara 2011.
12- Yard. Doç Dr. Nesime Ceylan: İkinci Meşrutiyet Devri Türk Hikayesinde «Din Duygusu» ve «Dini Meselelerin Tenkidi»
13- Yusuf Doğan: Celal Nuri İleri'nin Dini Ve İçtımai Hayata Bakışı, Ankara Ünversitesi- sosyal Bilimler Enstitüsü, Ankara 2003.